نفحات رمضانية

إعداد أ. د صالح حسين الرقب

هذه ثلاثون حلقة رمضانية، وقد قمت بتقديمها في إذاعة الأقصى في شهر رمضان سنة 1439هـ، تحت عنوان: (نفحات رمضانية). نسأل الله تعالى القبول وأن تكون في ميزان حسناتنا.

الحلقة الأولى: كيف يستقبل المسلم شهر رمضان

رمضان ضيف عزيز، وزائر لا يقدم علينا إلا مرة في العام، قدومه قدوم اليمن والخير والبركات، بما يحمله من هدايا ونفحات وعطايا وهبات، ففي رحابه ترفع الدرجات وتغفر الزلات، وشوق أهل الإيمان له لا يحده حد، وفرحتهم بقدومه لا يصفها وصف، وهم فيه بين خشوع صائم ودمعة تائب وتلاوة قرآن ومرافقة الإخوان في ساحات القيام.

رمضان هل هلاله، وخيمت ظلاله، وهيمن جلاله، وسطع جماله، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:185].

قال ابن رجب الحنبلي: "وكيف لا يُبشّر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟ وكيف لا يُبشّر المذنب بغلق أبواب النيران؟ وكيف لا يُبشّر العاقل بوقت يُغلّ فيه الشيطان، ومن أين يشبه هذا الزمان زمان؟ "

وقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء رمضان، فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين) وزاد في رواية للترمذي

وابن ماجه وغيرهما (وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة).

لقد كان سلفنا الصالح يستقبلون شهر رمضان بفائق العناية ويولونه أشد الاهتمام ويستعدون لمقدمه فرحا بقدومه، واستبشاراً بفضله. فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا ببلوغه رمضان. فإذا دخل شهر رجب قال: "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان". وكان السلف يسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، فإذا بلغوه سألوه أن يوفقهم فيه، ويرزقهم الجد والنشاط، فإذا أكملوه سألوا الله بقية السنة أن يتقبله منهم. وكانوا يستقبلونه بقولهم: اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلِّمه لنا وسلِّمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه. وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والنشاط، وأعاذنا فيه من الفتن، وذلك لما يعلمون من فضل رمضان وسعة فضل الله عليهم فيه، وما ينزله تعالى على عباده من الرحمات، ويفيضه عليهم من النفحات، ويوسع عليهم من الأرزاق والخيرات، ويجنبهم فيه من الزلات، حيث يفتح لهم أبواب الجنان، ويغلق عنهم أبواب النيران ويصفد فيه مردة الجان. فهو للأمة ربيعها، وللعبادات موسمها، وللخيرات سوقها... فليتنا نستقبل رمضان كما استقبله سلفنا الصالح.

وأيضاً نستقبل رمضان بعقد النية الصالحة على صلاح القول والعمل، ولتكن من بداية الشهر المبارك، فيعزم المسلم بينه وبين الله تعالى على المسير إلى الله والتقرب إليه بطاعة وذكره، وحسن عبادته، فكم من أناس أدركوا شهر رمضان فصاموا يوماً أو يومين، ولكن ادركتهم المنية قبل بلوغ آخره فأعطاهم الله الأجر كاملاً، لأنَّهم كانوا يطمحون ويطمعون في فعل المزيد من الطاعات.

والذي يساعد على عقد النية الصالحة استشعار الفضل العظيم والأجر الكبير المترتب على الصيام، لأنَّ تجديد النية أمر مهم، فبعض الناس تعوَّد على الصيام، ولم يستشعر الاجر والثواب المترتِّب على الصيام، ففي الصحيحين أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

لابد من أن نستقبل رمضان بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، والاعتراف بالذنب، فإذا كانت البداية مع الله توبة نصوحاً تطهرت الروح، وتزكى القلب، فتسقط الدموع، وينجلي الخشوع، فيصحو القلب الغافل من نسيانه، ويسبح بحمد ربه ويستغفره، ويتوب إليه، فيستشعر المسلم بشريات القبول قد بدت تلوح في الآفاق، علينا إخوتي أن نستقبله بالعزم على ترك الآثام والسيئات والتحلل من جميع الذنوب، والإقلاع عنها، والعزم الصادق بعدم العودة إليها، فهو شهر التوبة فمن لم يتب فيه فمتى يتوب يا عباد الله؟

إنَّ استقبال رمضان يتطلب منَّا أن نصفي قلوبنا من علائق الدنيا وشهواتها، ونقبل على عبادة الله تعالى بحب وإخبات حتى يشرح الله صدورنا للإسلام والإيمان، قال تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) سورة الزمر:22. ومن تصفية القلب: الصدق أولاً مع الله تعالى، ثمَّ الصدق مع النفس، والصدق مع الناس، وحب الخير للجميع، والبعد عن أمراض القلوب: من غل وحقد وحسد، وكبر، وغيبة ونميمة، وغش وغيرها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ". رواه ابن ماجة. نستقبل رمضان بمجاهدة النفس من الشيطان والهوى، والشهوات والشبهات، والإقبال بجد واجتهاد وإخلاص، ومجاهدة النفس على الصيام والصلاة وقراء القرآن الكريم، وقيام الليل، والصدقة، لأنَّ عزَّة المسلم وشرفه في تلك المجاهدة، ولابد من عقد العزم الصادق على اغتنام أيامه، وإعمار أوقاته بالتقرب لله بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه، وأعانه على الطاعة، ويسر له الله سبل الخير، قال الله تعالى:(فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) محمد: 21.

وأن تصوم جوارحنا عن الآثام من الكلام المحرم، والنظر المحرم للأفلام والتمثيليات المفسدة للأخلاق والذوق، والاستماع المحرم للأغاني المصحوبة بالمعازف والأكل والشرب الحرام، لنفوز بالمغفرة والعتق من النار. وينبغي لنا أن نحافظ على آداب

الصيام من تأخير السحور إلى آخر جزء من الليل وتعجيل الفطر إذا تحققنا غروب الشمس والزيادة في أعمال الخير وأن يقول الصائم إذا شتم "إني صائم" فلا يسب من سبه ولا يقابل السيئة بمثلها بل يقابلها بالكلمة التي هي أحسن ليتم صومه ويقبل عمله ، يجب علينا الإخلاص لله عز وجل في صلاتنا وصيامنا وجميع أعمالنا فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان صالحا وابتغي به وجهه ، والعمل الصالح هو الخالص لله الموافق لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأن نحافظ على صلاة التراويح وهي قيام رمضان اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفائه الراشدين واحتسابا للأجر والثواب المرتب عليها قال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه متفق عليه. وأن يقوم المصلي مع الإمام حتى ينتهي ليكتب له قيام ليلة لحديث أبي ذر الذي رواه أحمد والترمذي وصححه .

وينبغي للمسلم أن يلحَّ على الله بالدعاء والاستغفار بالليل والنهار في حال صيامه وعند سحوره، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: "من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر". رواه مسلم في صحيحه، وورد الحثُّ على الدعاء في حال الصيام وعند الإفطار وأنَّ من الدعوات المستجابة دعاء الصائم حتى يفطر، أو حين يفطر، وقد أمر الله بالدعاء وتكفل بالإجابة {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} سورة غافر:60 .

علينا أن نفتح صفحة بيضاء مع الوالدين والأقارب، والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة. وأن نفتح صفحة بيضاء مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبدا صالحا ونافعا قال صلى الله عليه وسلم: خير الناس أنفعهم للناس قال الشيخ الألباني:(حسن)، وهذه جارية تعلم أسيادها كيف يستعدُّون لرمضان: فقد روي أن قوماً من السلف باعوا جارية، فلما اقترب شهر رمضان عند من اشتراها، رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة

وغيرها، فسألتهم عن سبب ذلك؟ فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، ردوني عليهم.

الحلقة الثانية: رمضان شهر للتجارة مع الله تعالى

إن رمضان هو تجارة مع الله بامتثال أمره في صيام نهار رمضان، وتجارة بتلاوة كتابه، والاجتهاد في العبادة، وهذه تجارة مباركة لن تبور، زكَّاها الله تعالى بقوله:(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) فاطر:29، إنَّه فرصة تجارية لكسب الحسنات بل ومضاعفتها. وهو فرصة يجب استثمارها في تكفير السيئات، وفرصة للفوز بقيام ليلة القدر، العبادة فيها تعادل عبادة أكثر من ثلاث وثمانين سنة، وهو فرصة لتطهير القلب من كل درن وسوء، ليدخل المسلم الصائم على الملكوت العلي طاهراً نقياً. وهذه التجارة رائدها الإخلاص تعالى قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) الكهف:110.

إن الاخلاص روح الطاعات، ومفتاح لقبول الباقيات الصالحات، وسبب لمعونة وتوفيق الله تعالى، وعلى قدر النية والاخلاص والصدق مع الله وفي إرادة الخير تكون معونة الله لعبده المؤمن، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام مضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه". قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: المراد بالإيمان: الاعتقاد بفرضية صومه. وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى. وقال المناوي في فيض القدير: من صام رمضان إيماناً أي تصديقاً بثواب الله أو

أنه حق، واحتساباً لأمر الله به، طالباً الأجر أو إرادة وجه الله، لا لنحو رياء، فقد يفعل المكلف الشيء معتقداً أنه صادق لكنه لا يفعله مخلصاً بل لنحو خوف أو رياء. وقال ابن القيم رحمه الله: "وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وتعالى واعانته".

المكثر في رمضان من الطاعات يدخل الجنة قبل المجاهد الشهيد: فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أن رجُلينِ من بَلِيٍّ، قدِمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إسلامُهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهدُ منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام، بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارجٌ من الجنة، فَأَذِن للذي توفي الآخِرَ منهما، ثم خرج، فأذِن للذي استُشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع فإنك لم يَأْنِ لك بعدُ، فأصبح طلحة يحدِّث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وحدَّثوه الحديث، فقال:(من أي ذلك تعجبون؟)، فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشدَّ الرجلين اجتهادًا، ثم استُشهد، ودخل هذا الآخِرُ الجنةَ قبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أليس قد مكث هذا بعده سنة)، قالوا: بلى، قال: (وأدرك رمضانَ، فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السَّنة)، قالوا: بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فما بينهما أبعدُ مما بين السماء والأرض).

لكن نستطيع أن نقول لقد نجح أعداء الإسلام في تحويل كثير من المناسبات الدينية إلى مناسبات استهلاكية، وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية، فعلى سبيل المثال: تم تحويل شهر

رمضان –شهر الصوم والعبادة والقرآن– وعيد الفطر خاصة من مناسبة دينية إلى مناسبة استهلاكية. وإن من ينظر إلى أسواق المسلمين في رمضان لا يملك إلا أن يقر بأن المخططات المعادية قد نجحت في تحقيق ذلك. فأصبحت أسواقنا في رمضان رائجة ومزدحمة بألوان متعدة من الأطعمة والأشربة، المختلفة في طعمها وتذوقها، من الحلويات، والحوامض والموالح، والمحروقات، وربما يتناولها كثير من الصائمين في إفطار واحد، فيصاب بالتخمة والكسل، حتى إذا ما جاء وقت صلاة التراويح شعر بالتثاقل والنعاس، ويعبر بعض الصائمين عن ذلك باعتراضهم على الإمام إذا أطال في القراءة على غير مزاجهم. وبعض الناس يتساءلون بينهم حول إطالة إمام في صلاة التراويح، ثم إذا وجدوه أسرع إمام ووقفوا في صلاة التراويح لا يلبثوا أن ينظر أحدهم في الساعة عدة مرات، ويعيد حساب الوقت المتبقي. بل وبعضهم بعد عدة أيام من دخول شهر رمضان ينقطع كلياً عن صلاة التراويح، ويغادر المسجد مستدبراً الناس وهم واقفون بين يدي ربهم، وربما حدثك أنَّ الوقوف شاق، وأن أرجله تؤلمه، ثم تجد هذا الشخص بعينه لا غيره، يذهب للأسواق ويتمشى فيها أكثر من ساعة، ولا يحس بالألم حتى يجلس، أو يتفطن لتقلص عضلات قدميه من إعياء المشي، وربما جلس أحدهم أمام التلفاز ساعات يقلب بين قنواته متابعا المسلسلات والأفلام والبرامج التي أعدَّها شياطين الإنس خصيصا لإفساد شهر التجارة مع الله تعالى.

إنَّ نعم الله تعالى علينا لا تعدّ ولا تحصى.. ومن أجلِّها أن جعل لنا مواسم للطاعات وأوقاتاً للقربات، يضاعف فيها الثواب ويعظم فيها الأجر، ومن

أفضل هذه المواسم شهر رمضان.. تلك النعمة الربانية التي تهبُّ على المسلم كل عام فتجدد إيمانه، وتجلو قلبه، وتفتح له أبواب الرحمة والغفران، والعتق من النيران. **نعم رمضان شهر للتجارة مع الله تعالى** لأنَّ:

1- فيه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر، أي ما يزيد على ثلاثة وثمانين عاماً، من أحياها وقامها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

2- من تقرب لله فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، والفرائض هي أحب ما يتقرب به العبد المؤمن إلى ربه تعالى، فهو القائل في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه..". ولاحظ أن كلمة خصلة تفيد العموم، فمن أطعم جائعاً أو كسا عارياً أو أقرض محتاجاً أو كفل يتيماً أو أعان أرملة أو مسكيناً.. كان كمن أدى فريضة كالصلاة أو الزكاة في غير رمضان.

3- والفريضة فيه بسبعين: وتلك مكرمة إلهية أخرى، إنَّ أكرم إنسان في الوجود -ولله المثل الأعلى- قد يرد المعروف أو يكافئ عليه بضعفين أو ثلاثة أضعاف على الأكثر، أمَّا أن يكافئ عليه بسبعين، فهذا جود لا يصدر إلا عن أكرم الأكرمين وأسخى الأسخياء.. الله رب العالمين.

4- هو شهر الصبر: والصبر جزاؤه الجنة.. وكفى بها جزاءً. وبالصبر تقوى الروح وتسبح في مدارج العلو والرفعة والنقاء والطهر، تلك الروح التي حبسناها أحد عشر شهراً في هذا الجسد الطيني، اشتاقت إلى بارئها وحنَّت إلى خالقها، فهي تنتظر هذا الشهر.. لتؤدي دورها في إصلاح الجسد وقيادته

نحو معالي الأمور... فيا للصوم من مدرسة لتقوية الإرادة وشحذ العزيمة ورفع الهمة والتحليق في سماء القرآن العظيم. إن رمضان يحاول إعادة شيء من التوازن بين كفتي الروح والجسد.. كفة الروح التي خفَّت وضعفت، لقلة غذائها وضعفه من القرآن والذكر، وكفة الجسد التي ثقلت بذلك الجسد المترهل المشبع، بما لذّ وطاب من الطعام والشراب.

5- هو شهر المواساة: وفي هذه الجملة البليغة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم يظهر البعد الاجتماعي للصوم. إن المسلمين جميعاً إخوة، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، وإذا كان الغني المترف يذوق طعم الحرمان بإرادته ابتغاء رضوان الله، فإنه حريّ به أن يحسّ بأخيه المسلم الفقير، الذي يذوق طعم الجوع والحرمان، رغم أنفه ولقلة ذات يده.

6- شهر يزاد فيه رزق المؤمن: وهذا أمر جليّ لكل ذي بصيرة وإيمان، ويقين بوعد الله الرحمن. إن بركات الله تتنزل في هذا الشهر وفيوضاته تعمّ ونفحاته تكثر. إن مسلماً يحرم نفسه شهواتها ويقاوم رغباتها وينازع نزواتها، لهو امرؤ جدير بأن تتنزل عليه بركات الله تعالى، وهو القائل: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الأعراف:96، أليس الصوم طريقاً إلى تقوى القلوب؟.!

7- ثواب إفطار الصائم: أما ما أعدّه الله تعالى من ثواب لمن أفطر صائماً.. فهو ثواب يفوق الخيال، وكرم يفوق الحدود، إن أقصى ما قد ينتظره المرء إذا فطر صائماً أن يكون له مثل أجره، أما أن يكون له فوق ذلك مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، فذاك أمل يرنو إليه كل مسلم.

8- قبول الدعاء: ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترد دعوتهم»، وذكر منهم: «ودعوة الصائم حتى يفطر وفي رواية حين يفطر.«

9- الشفاعة يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: «القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ منعته الطعام والشهوات فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفّعان» رواه أحمد والطبراني.

10- اختصاص الصائم بباب الريان: قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة باباً يقال له باب الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» متفق عليه.

11- اختصاص الأمة بفضائل رمضان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمة قبلها: خَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر له الملائكة حتى يُفطر، ويزيّن الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة ويصيروا إليك، ويصفّد فيه مرَدة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل يا رسول الله: أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل يوفَّى أجره عند انقضاء عمله» رواه أحمد.

الصوم زاد للمتقين وإمداد الصابرين:

من المعلوم أن الصوم إمساك عن المفطرات وكذلك الصبر إمساك للنفس، فقد قال الراغب: "الصبر الإمساك في ضيق"، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر"، قال السيوطي: "شهر الصبر هو شهر رمضان، وأصل الصبر: الحبس، فسمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح". قال ابن رجب الحنبلي: "وأفضل أنواع الصبر: الصيام، فإنَّه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة؛ لأنه صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر عن معاصي الله؛ لأنَّ العبد يترك شهواته لله ونفسه قد تنازعه إليها، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الله عز وجل يقول: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي".

لذا فالصبر ممَّا نتعلمه في مدرسة الصيام ورمضان، والصائم حين صومه يصبر على الجوع والعطش، ويصبر عن السباب والخصام وفحش الكلام، ويصير عن الإساءة للناس، حتى لا يجرح صومه أو يفسده، وهذه تربية وتهذيب للنفس، فالصبر على الجوع والعطش في نهار رمضان يكبح شهوات النفس عما تشتهيه من ملذات وطيبات يراها أمام عينيه، ويمنع نفسه عنها، وهنا يطوع الإنسان نفسه لا يطاوعها، ويجملها بالصبر ولا يساير اندفاعها، كما أنَّ الصبر على الجوع والعطش يذكرنا بإخوة لنا لا يجدون ما يأكلونه فنشعر بمعاناتهم، وترق لحالهم القلوب، فنبادر إليهم بالعون والبر والإحسان، والصبر عن السباب والخصام وفحش الكلام يهذب النفس عن سفاسف الأمور، ويهدأ من ثورتها وغضبها السريع الذي يكون سببا فيما لا

يحمد عقباه، ولهذا فالصيام يهدأ غضب النفس ويلهمها الهدوء والسكينة والرزانة التي تسمو بالنفس إلى التبصر والوعي والحكمة مما يجعلها تأنف عن الرذيلة وتتسم بالفضيلة، وتلك هي طبيعة النفس المطمئنة المؤمنة الصابرة المحتسبة.

والصوم فيه أيضاً صبرٌ على الأقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي شهر الصيام شهر الصبر". وأمّا كون الصوم زاد للمتقين فقد قال الله تعالى عن الحكمة من فرضية الصيام:(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فجعل الصوم اختبارا روحيا، وتجربة خلقية، وأراد منه أن يكون وسيلة إلى نيل صفة المتقين، وأداة في اكتساب ملكة التقوى. وقد عرف التقوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقَناعة بالقليل، والاستِعداد للرحيل"، التقوى :إذن هي طاعة الله تعالى، وعدم معصيته؛ ووصف طلق بن حبيب التقوى؟ فقال: التقوى عملٌ بطاعة الله، رجاءَ رحمةِ الله، على نورٍ من الله، وترك معصية الله، مخافةَ الله، على نورٍ من الله". وبالصبر والتقوى نواجه كيد الكفار ونبطل مكر الأعداء فلا يضرونا شَيْئاً، قال تعالى:(إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)آل عمران:120.

الحلقة الثالثة: رمضان مدرسة تربوية

إن رمضان هو شهر الصيام والقرآن، فهو بذلك مدرسة ربانية تقدم دورة شهرية تدريبية عملية تترك آثارها الإيجابية الواضحة في حياة المسلم: تزكية للروح، وتهذيب للنفس، ورفعة للأخلاق وسمو للعقل، وصحة للجسد، فيتحقق التوازن في حياة المسلم،

خاصة إننا نعيش في عصر كثرت فيه المغريات، وتحكمت فيه الغرائز والشهوات في كثير من الناس.

الصيام يلجم شهوات الإنسان الأربع وهي: شهوة البطن، شهوة الجنس، شهوة الغضب، شهوة الكلام، فالصوم مدرسة لعلاج هذه الشهوات التي دمَّرت حياة كثير من الأفراد وفككت كثيراً من الأسر والمجتمعات، وكانت سبباً في هلاك دول وأمم. فخذ مثلاً شهوة الكلام، ففي رمضان يتحقق الصيام الحقيقي للسان بالإمساك عن فضول الكلام والخوض في الباطل والمراء، والخصومة، والكذب والنميمة، والفحشاء والجفاء، واللعن والسخرية والاستهزاء، وهذه بذاتها مهلكات وطامات، يأتي الصيام ليكون مدرسة تربوية لتعوَّد المسلم على تركها والتخلص منها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". وقال: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم. إني صائم". رواهما البخاري ومسلم. فاللسان ينضبط في شهر الصيام في إطار ذكر الله، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين، والإمساك عن لغو الكلام، قال تعالى:(لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء:114.

والصيام مدرسة للجم الهوى، قال تعالى:(وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) ص:26، إن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن، ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن معا، فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى، وربما لو فتشت على أمراض البدن لرأيت كثير منها لإيثار الهوى على ما ينبغي تركه.

شهر رمضان هو مدرسة تربوية، شريطة أن ينظر إليها الإنسان كمدرسة يتعلم فيها القيم والمبادئ الأخلاقية والروحية. أما الذي يدخل هذا الشهر الكريم كما يدخل أي شهر آخر، فإنه سوف لا يصبح بالنسبة إليه مدرسة، بل قد يسبب له انتكاسة وهبوطا في

المستوى الروحي بدلا من أن يدفعه إلى الأمام .هذه الحقيقة هي الحقيقة المهمة التي يجب أن ندركها في هذا الشهر الفضيل؛ فالصيام هو –بحد ذاته– مدرسة، لأنه يربي في الإنسان الإرادة، ويزوده فوق ذلك بصفة التقوى، هذه الصفة التي لو امتلكها الإنسان وتسلح بها لاستطاع أن يقاوم ضغط الشهوات، وضغط المجتمع .. الهدف من الصيام هو تنمية ملكة التقوى في نفس الإنسان، ولكن هل بإمكان الإنسان أن ينتفع من الصيام دون أن يسعى من أجل الحصول على هذه الصفة المثالية؟

الجواب: لا، بالطبع، فالذين يصومون دون أن يخلصوا لله تعالى عبادتهم، ودون أن يوحوا إلى أنفسهم بالدافع الحقيقي إلى الصوم، ويصومون دون أن يتورعوا في أيام وساعات صومهم ويوم إفطارهم.. فإن مثل هؤلاء لا يمكن أن يستفيدوا من شهر رمضان الفائدة المرجوّة، كما جاء في الحديث الشريف: "كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والعطش".

الصيام مدرسة ربانية تصنع التقوى التي هي اللجام الذي يكبح الهوى، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة:183، إنها التقوى المفعمة بحب الله عز وجل والخوف منه عندما يصوم المرء طواعية رغبة في الله ورهبة منه، فيفرح ربنا سبحانه بعبده عندما يدع شهوته العارمة، سراً وعلانية ابتغاء وجهه سبحانه.

الصّيام مدرسة تربوية عظيمة يتعلّم فيها المسلم أشياء كبيرة، يتعلّم الصّبر لأنّ الصّيام فيه صبر على الطّاعة، فيمتنع عن الحلال طاعةً لله، وفيه صبر على الحرام لأنّه يمتنع عن مقارفته، ولذلك قال رسولنا صلّى الله عليه وسلّم: (الصّوم نصف الصّبر)، وفيه إمساك اللسان عن السبّ والشتم وإيذاء النّاس، يقول عليه الصّلاة والسّلام: قال الله عزّ وجلّ: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يصخب، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) متفق عليه، فهو تربية وتعويد للمسلم على ضبط نفسه ولسانه على كفّ الأذى وعلى القول الجميل.

وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن القيم: "الصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث؛ فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأَمِن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم، هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب.. فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه، وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم".

رمضان شهر إصلاح القلوب:

إن إصلاح القلوب، وتطهيرها من الأكدار، وحسن النظر فيها، وبذل المجهود في استقامتها؛ أمر مطلوب شرعاً، كيف لا وهي موضع نظر الله تعالى من عبده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، وصلاح القلب صلاح للظاهر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بيَّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب".

وإن سلامة القلب هي من الأمور التي تجعل العبد يفوز بخيري الدنيا والآخرة قال تعالى:{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، ولها أسباب منها:-

1- تلاوة القرآن الكريم، والأخذ به ظاهراً وباطناً، وحفظاً وتدبراً وتعلماً؛ فإن الله سبحانه وتعالى قال:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، فالقرآن أبلغ موعظة، وأنفع الأدوية لما في الصدور من أمراض الشبهات والشهوات التي تدخل على القلب فتفسده.

2- ذكر الله عز وجل، فقد قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، فذكر الله عز وجل جلاء القلوب، فإن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد والنحاس، وجلاؤه ذكر الله عز وجل.

3- التوبة النصوح، والمداومة عليها، والاستغفار، والدعاء بالثبات على الهداية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً؛ إلا ما أشرب من هواه"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة".

4- الدعاء والإكثار منه ولاسيما في هذا الشهر المبارك حيث إن دعاء الصائم مستجاب كما ورد في الحديث الشريف: "ثلاثة لا ترد دعوتهم...والصائم حتى يفطر".

هذه هي أهم أسباب صلاح القلوب، وعلى العبد أن يحرص أشد الحرص على كل ما يصلح قلبه، وبخاصة في مثل هذا الموسم المبارك شهر رمضان، وأن يبتعد أشد البعد عن كل ما يفسد قلبه، فإن استقامة القلب وصلاحه دليل على الإيمان الصادق، وباستقامة القلب وصلاحه يفلح العبد دنيا وآخرة.

حتى لا نخسر رمضان:

إن الفهم الصحيح لمقاصد عبادة الصيام، وأنه وسيلة لا غنى عنها لتهذيب النفس وإحياء القلب بالإيمان، هو الخطوة الأولى على طريق الاستفادة الحقيقية من عبادة الصيام، وسيكون من نتاج ذلك الفهم أن نصل إلى إحسان العبادة في رمضان، إن هذا

الشهر يمثل فرصة ذهبية لإحياء القلب وعمارته بالإيمان، وانطلاقه في رحلة السير إلى الله، لما قد اجتمع فيه من عبادات متنوعة مثل: الصيام، والصلاة، والقيام، وتلاوة القرآن، والصدقة، والاعتكاف، والذكر.. الخ. كما أن الصيام يورث السعادة في الدنيا والآخرة: لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه، فرح بصومه" رواه مسلم. لقد عرف السلف الصالح قيمة الشهر المبارك فشمروا فيه عن ساعد الجد واجتهدوا في العمل الصالح، طمعاً في مرضاة الله ورجاء في تحصيل ثوابه، فقد ثبت أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال عبدالعزيز بن أبي داود: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم: أيقبل منهم أم لا؟

ولذلك وجدنا الإمام الأستاذ حسن البنا يهتم في دروسه في تذكير أبناء دعوته بهذا المعنى، فممّا قال لهم مرة: "أيها الإخوان ورمضان شهر شعور وروحانية وتوجُّه إلى الله، وأنا أحفظ فيما حفظت أن السلف الصالح كانوا إذا أقبل رمضان ودَّع بعضهم بعضاً حتى يلتقوا في صلاة العيد، وكان شعورهم: هذا شهر العبادة وشهر الصيام والقيام، فنريد أن نخلو فيه لربنا".

ومما يتناقض مع الفهم الصحيح لمنزلة وقيمة شهر الصيام وجود ظاهرة خطيرة في رمضان، إنها ظاهرة إضاعة الوقت في غير طاعة الله، إنها الغفلة والإعراض عن الرحمات والنفحات الإلهية الرمضانية، قال تعالى(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) طه:124-127، قال ابن قيم الجوزية: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأنَّ إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. نسأل الله أن يعيننا على انتهاز رمضان والاستفادة منه، وأن يتقبل الله أعمالنا وصيامنا وقيامنا وأن يعتقنا من النار.. اللهم أمين.

الحلقة الرابعة: رمضان شهر القرآن الكريم والدعاء

لقد ربط الله تعالى في كتابه الكريم بين صوم رمضان والقرآن الكريم، فقال : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ، وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر). وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة). وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان). رواه الطبراني وأحمد، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع".

أهل الصيام هم أهل القرآن الذين مدحهم الله تعالى بقوله : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)، قال رسول صلى الله عليه وسلم : إن لله آهلين قالوا من هم يا رسول الله قال: "أهل القرآن وخاصته". رواه ابن ماجه وصححه الألباني

إنَّ القرآن الكريم نعمة السماء إلى الأرض، وحلقة الوصل بين العباد وخالقهم، نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الكريم بالحق ليكون للعالمين نذيراً وهاديا، ونوراً مبينا، وروحاَ به حياة أرواح العباد والقلوب، قال تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا).

لقد وصف الله تعالى كتابه القرآن الكريم بأوصاف عديدة هي أسماء له، تدلّ على عظيم فضله وعلوّ منزلته ومنها: وصفه الله بأنه روح، والروح بها الحياة، قال تعالى:(وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمان)، ووصفه بأنّه نور، والنور به الإبصار، قال تعالى: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ)، ووصفه بأنه الهادي إلى أفضل طريق (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) ، ووصفه بأنه شفاء ورشاد فقال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ). وهو كتاب الحق الذي لا يعرض له الباطل قط، قال تعالى: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)، وقال سبحانه: (وَإِنَّهُ لَكِتابٌ

عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ). وقال صلى الله عليه وسلم: (خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه)، وقال: (يرفع بهذا الله بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين)، وقال: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعًا لأهله يوم القيامة).

لقد بدأ نزول القرآن الكريم جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في شهر رمضان، فقال عز وجل:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)، وقال تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)، وقال:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، قال عبد بن عباس رضي الله عنهما:" إنه نزل في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أُنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام، وفي نزول القرآن الكريم في رمضان تعظيم لهذا الشهر المبارك الذي نعيش أيامه الفاضلة ولياليه الكريمة، نعم إنَّه القرآن سبيل عزِّة الأمة، وأساس سعادتها، وطريق فوزها وفلاحها في الدنيا والآخرة، فالواجب علينا أن تَعْظُم عنايتنا بالقرآن، وأن يزداد اهتمامنا به، ولا سيَّما وأننا نعيش شهر القرآن، شهر رمضان المبارك. الذي اختاره المولى سبحاته ليكون موسمًا لهم للعبادة وزادًا عظيمًا ليوم المعاد، وهذا بدوره يدلُّ على استحباب دراسة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، والاجتهاد في ذلك، والعناية به أتمَّ العناية، والإكثار من تلاوته، والزيادة في مدارسته، وعرض القرآن على مَن هو أحفظ له، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :"كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن".

ولقد كان سلفنا الصالح مع القرآن الكريم:

كان للسلف رحمهم الله اهتمام خاص بالقرآن في هذا الشهر الكريم، فكانوا يخصصون جزءاً كبيراً من أوقاتهم لقراءته، وربما تركوا مدارسة العلم من أجل أن يتفرغوا له، فكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة، وكان بعضهم يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، وكانوا يقرؤون القرآن في الصلاة وفي غيرها، فكان للإمام الشافعي في رمضان ستون ختمة

يقرؤها في غير الصلاة، وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر في كل ليلة، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان يترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويُقْبِل على قراءة القرآن من المصحف، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وممَّا ينبغي أن يعلم أن ختم القرآن ليس مقصوداً لذاته وأن الله عز وجل إنما أنزل هذا القرآن للتدبر والعمل لا لمجرد تلاوته والقلب غافل لاه، قال سبحانه:(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)، وقال: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها). فختم القرآن ليس مقصوداً لذاته، وليس القصد التلاوة دون تدبر ولا خشوع، ولا ترقيق للقلب، ووقوف عند المعاني، ليصبح همُّ الواحد منا الوصول إلى آخر السورة، أو آخر الجزء، أو آخر المصحف، ومن الخطأ أيضاً أن يحمل أحدنا الحماس عندما يسمع الآثار عن السلف التي تبين اجتهادهم في تلاوة القرآن وختمه، فيقرأ القرآن من غير تمعن، ولا تدبر، ولا مراعاة لأحكام التجويد، أو مخارج الحروف الصحيحة، حرصاً منه على زيادة عدد الختمات.

فاحرص أخي الصائم على تلاوة القرآن في هذا الشهر بتدبر وحضور قلب، واجعل لك ورداً يوميًّا لا تفرط فيه، ولو رتبت لنفسك قراءة جزأين أو ثلاثة بعد كل صلاة لحصَّلت خيراً عظيماً، ولا تنس أن تجعل لبيتك وأهلك وأولادك نصيباً من ذلك. والله يهدي السبيل.

لا تضيعوا عبادة الدعاء في رمضان: لقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الدعاء هو العبادة: ثم قرأ قول الله: {قال ربكم ادعوني استجب لكم}". ولقد ربط الله تعالى بين عبادة الصيام وعبادة الدعاء، فآية العبادة جاءت في سياق وضمن آيات الصيام التي تبدا من الآيات 183-187، فقال في سورة البقرة الآية 183: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وفي الآية 186 قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، وبالدعاء يقاس قرب العبد من ربه وخضوعه له واستسلامه لعظمته، وإقرارا بوحدانيته: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، فإيّاك أن تهمل الدعاء وتستكبر نفسك عنه فتدخل في الوعيد المنتظر لهم من الله سبحانه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردهما صفراً".

لكن الدعاء المستجاب له شروط، وأهمها: الإخلاص، وهو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه من الشرك والرياء، قال تعالى:{فَادْعُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} سورة غافر:14، ومنها: الثقة بالله تعالى، ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه:{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} سورة الحجر:21، ومنها: حضور القلب والخشوع مع التذلل والخضوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، ومنها: أن يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء، فقال: "إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقلْ اللهم إن شئت فأعطني فإن الله لا مُسْتَكْرِهَ لهُ". ومنها: الإلحاح والتكرار وعدم الضجر والملل، فقد روى ابن مسعود: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً". ومن شروط الدعاء: استشعار معية النصر، والتأييد والتوفيق الإلهي، والإلهام لعباده المؤمنين.

واعلم يا عبد الله أن الدعاءَ سلامةٌ من الكبر؛ لأن الذي لا يدعو الله متكبرٌ متغطرسٌ، متعالٍ على الله تعالى، مظهرٌ الغنى وعدم الحاجة لربه جل وعلا، ولهذا قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} أي: عن دعائي {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، والدعاءُ أكرمُ شيء على الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "ليس شيء أكرمَ على الله عز وجل من الدعاء".

ولقد صحَّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: "للصائم دعوة لا ترد"، لماذا؟ لأنَّ الصائم منكسر القلب ضعيف النفس، ذلَّ جموحه وانكسر طموحه واقترب من ربه تعالى، وأطاع مولاه، ترك الطعام والشراب خيفة من الملك الوهاب، كفَّ عن الشهوات طاعة لرب الأرض والسموات، وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :"الدعاء هو العبادة"، فإذا رأيت العبد يكثر من الإلحاح في الدعاء فاعلم أنه قريب من الله واثق من ربه مجيب الدعوات. وقال الصحابة رضي الله عنهم مرة يا رسول الله : "أربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :"إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا بصيرا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته".

الدعاء حبل مديد، وعروة وثُقى، وصلة ربانية، فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "لن يهلك أحد مع الدعاء"، والله سبحانه يناديا أن ندعوه ويطلب منا أن نسأله، فقال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ). وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)، وتواتر الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال :"ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له"، وشهر رمضان هو شهر العبادة والدعاء وشهر الإجابة، وشهر التوبة والقبول. والدعاءَ سببٌ لانشراح الصدر وتفريج الهموم، وزوال الغموم، وتيسير الأمور، دخل النبيُ صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم فرأى فيه رجلاً من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال النبيُ صلى الله عليه وسلم: "ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟" قال: همومٌ لزمتني وديونٌ أثقلتني يا رسولَ الله، فقال: "أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهبَ الله همك وقضى دينك؟" قلت: بلى يا رسول الله، قال: "قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذُ بك من الهم والحزن، وأعوذُ بك من العجز والكسل، وأعوذُ بك من الجبن والبخل، وأعوذُ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال"، قال:

ففعلتُ ذلك فأذهبَ الله همي وغمي وقضى ديني. والدعاءَ سببٌ لدفع غضب الله تعالى، فقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لم يسأل اللهَ يغضب عليه" وذلك أن العباد فقراءُ محتاجون إلى الله الذي بيده مقاليدُ الأمور كلها يصرفها كيف يشاء وبيده قلوبُ العباد يقلبها متى يشاء، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الناس، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من منتهم، وهذا رأسُ الفلاح وأسُّ النجاح.

الحلقة الخامسة: وصايا للشباب وللأخوات في شهر رمضان

هذه وصايا للشباب وللأخوات في شهر رمضان تحمل عبارات ناصح، وكلمات مشفق، عسى أن تجد في القلب موضعاً، وفي جنبات الصدر قبولاً.

الوصية الأولى: احمد الله سبحانه وتعالى أن بلغك رمضان، فكثير ممن كانوا معنا في رمضان الماضي قد غيبهم الموت، فاحمد الله واشكره أن منّ عليك لتكون ممن يتقرب إليه بفعل الطاعات، وجمع الحسنات، في هذا الشهر المبارك.

الوصية الثانية: ليكن رمضان فرصة لك تتاجر فيها مع الله تعالى، ودورة تدريبية في الابتعاد عن المعاصي، وأعلنها صراحة، واصرخ بها في وجه الشيطان، وداعاً للمعاصي والسيئات، وداعاً لكل ما يُبعِد عن الله تعالى، وأبشر بتوفيق الله لك، وتسديده إياك، عسى ربي أن يهديني وإياك سواء السبيل.

الوصية الثالثة: رمضان شهر القرآن، فأوصيك بتدبر معانيه، وفهم آياته، واحرص على قراءته والتلذذ بتلاوته، وليكن لك ورد يومي تقرأه بتمعن وتدبر، وأوصيك بمختصر تفسير ابن كثير فإنه خير معين لك بعد الله على ذلك.

الوصية الرابعة: إياك أن تكون ممَّن جعل نهار رمضان نوماً وغفلة، وليله سهراً على معصية الله سبحانه وتعالى، بحضور الأفلام والمسلسلات، واحرص على أن تملأ نهارك بالذكر، وتلاوة القرآن، وليلك بالصلاة والقيام.

الوصية الخامسة: أوصيك بالصدقة في رمضان، ولو بإطعام فقير واحد، أو أن تشترك مع زملاءك في إطعام هذا الفقير، قال عليه الصلاة والسلام عن الصدقة في رمضان: "من فطَّر فيه صائمًا؛ كان كفارة لذنوبه، وعتق رقبته من النار".

الوصية السادسة: إياك أن تكون ممن يفطر على سخط الله وغضبه، وذلك بشرب الدخان، أو متابعة ما يعرض في القنوات من برامج ساقطة تستهزئ بالله وبرسوله، ولا يخفى على أمثالك جرم ذلك، قال الله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره).

الوصية السابعة: أوصيك بالإكثار من الدعاء، واحرص على ذلك وأنت صائم، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنَّ للصائم دعوة لا ترد، فلا تنس نفسك ولا تنس إخوانك المسلمين المظلومين في كثير بقاع الأرض، وما يدريك؟! فلعل دعوة صادقة تخرج من قلبك المنكسِر ينصر الله بها الدين وأهله، فلا تتردد.

الوصية الثامنة: ابتعد عن الحديث الجانبي في المسجد، فإنا نخشى على من يرفع صوته في المساجد أن يكون من الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حِلَقاً حلقاً إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة". رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني، فالواجب عدم اتخاذ المسجد لغير ما بني له فإنه إنما بني للذكر والصلاة وقراءة القرآن وحلقات العلم.

الوصية التاسعة: أذكرك بأن لله سبحانه وتعالى في كل ليلة عتقاء من النار لمن أتم الصيام، وأدى القيام، وأكثر من الحسنات، وتزود من الطاعات، فلا تغفل عن ذلك، واحرص على أن تكون ممن منحه الله هذه الجائزة العظيمة، جعلني الله وإياك من عتقائه من النار.

الوصية العاشرة: أوصيك بحضور مجالس العلم. فإنه:(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، يكفيك أن الله جل وعلا يذكرك ويثني عليك في الملأ الأعلى، ثم تقوم وقد غُفِرت ذنوبك بإذن الله، فأكثر من الحضور، وداوم على ذلك.

أختي المسلمة لا تضيعي فضائل رمضان:

إذا دخل شهر رمضان المبارك فإنَّا نجد النساء ليس سواء في هذا الشهر الفضيل، فبعضهن يجتهدن في العبادة أول الأيام ثم يضعفن شيئا فشيء، وبعضهن تنشغل معظم اليوم في المطبخ إعداد لطعام الإفطار وقد تتناسى أن رمضان شهر الصيام لا شهر الطعام، وبعضهن قد انشغلن ببرامج الفضائيات، تذكري أختاه الأجر العظيم من الله عز وجل للصائمين، قال صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري ومسلم. وتدارسي أخيتي فضائل الشهر الكريم وفضائل الصيام وفوائده. "إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد" رواه البخاري ومسلم.

ينبغي عليك أختاه أن نغتنم جميع أيام رمضان المبارك قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي"، فيا أختي المسلمة إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله تعالى في شهر رمضان فافعلي، وتذكري قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له". رواه الترمذي.

ولذا يلزمك التقليل من المأكولات والمشروبات، كي تحافظي على صحتك، ونشاط الروح، ولتتذكري أن الزاد الحقيقي النافع هو التقوى، وهذا يتطلب منك تفريغ الأوقات للعبادة قدر المستطاع، وذلك بالتنسيق بينك وزوجك، ولا شك أن من يعين زوجته على الخير يكن له نصيبٌ من ذلك.

أختاه كوني في رمضان المرأة المتميزة التي دخل عليها شهر رمضان ففرحت فرحًا لا يعلمه إلا الله، وبدأت في ترتيب برامجها في رمضان، وأخذت العهد على نفسها أن تنافس لدخول الجنان، واتخذت علو الهمة سلاحًا لها في زمن الكسل والخذلان، وليكن أنَّ بين أسمى الغايات التي تسعين لتحقيقها في هذا الشهر الكريم إصلاح النفس وتغيرها نحو الأفضل، فرمضان فرصة عظيمة للتغيير، فكل ما في رمضان يتغير، سلوك وعبادة وخلق، فهو يمضي بنا وتتغير فيه بعض أحوالنا، ونسعى جاهدين إلى تغيير

أنفسنا، وما أن نودع آخر لياليه إلا ونرجع إلى ما كنا عليه قبل رمضان "إلا من رحم الله"، ندخل رمضان بعزم وجد على تغيير أنفسنا وأحوالنا وعلاقاتنا، ولكننا نفشل في الاستمرار بعد رمضان.

ثمَّ إنَّ من أوجه عبادة المرأة المسلمة في رمضان، ما يحدث من صلاة التراويح والقيام التي تحضر المرأة إلى المسجد للصلاة، وكان عمر رضي الله عنه يخصص إماماً للنساء يصلي بهنَّ، وفي حضور المرأة بالشروط الشرعية إلى المسجد من نزول الرحمة، وتغشّي السكينة، وحف الملائكة، ونزول المغفرة التي تحصل للمستمعين، والتأمين على الدعاء، والخشوع أثناء القراءة، وتعلم الصلاة، وتصحيح أخطاء القراءة التي كانت تقع فيها، فلما سمعت الإمام يقرؤها بشكل صحيح تعلمت أن ما كانت تقرؤه خطأ فتصحح الخطأ. لكن حذاري ممَّا يحصل في بعض المساجد من التشويش الدائم من قبل النساء عند التقاء بعضهن ببعض، وكأن المسجد قد جعل مجلساً عاماً يحصل فيه الكلام بصوت عالٍ يصل إلى الرجال، فأقول: إن هذا الأمر ينافي العبادة المطلوبة من المرأة المسلمة في رمضان، مع تمنياتنا لك بالقبول من الله الغفور الرحيم.

– حافظي وأكثِري مِن الأذكار، لاسيما في أوقاتٍ وأحوالٍ يتأكّدُ فيها ذلك؛ كأذكارِ ما بعدَ الصّلوات، وأذكارِ الأذانِ ومتابعةِ المؤذِّن، وأذكار النّوم والاستيقاظ منه، وأذكار الإفطار والأكل، وأذكارِ الدّخول والخروج، وأذكار الصّباحِ والمساءِ –عموما–، ولا يَفْتُر لسانُكِ عن الذِّكْر في جميعِ أحوالِك حتّى وأنتِ تُؤدّين أعمالَك المنزلية، متأسِّيةً في ذلك بنبيِّكِ عليه الصّلاة والسّلام فعن أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنّها قالت :(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِه)، وتذكّري أنَّ في ذكْرِ الله حياةٌ لقلبِكِ؛ قال عليه الصّلاة والسّلام: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ).

– نافسي في الخير وكوني جوادَةً به، وحاولي أنْ لا يسبقك إلى ذلك أحد؛ قال اللهُ – تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ،

يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ) قال الزين بن المنير: "وجه التّشبيه بين أجوديته صلّى الله عليه وسلّم بالخير وبين أجودية الرّيح المرسلة أنّ المراد بالرّيح ريح الرّحمة الّتي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الّذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي فيعمّ خيره وبرّه مَن هو بصفة الفقر والحاجة ومَن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر ممّا يعمّ الغيث النّاشئة عن الرّيح المرسلة.

– لا تُهدري الأوقات سدىً في متابعة البرامج والمسلسلات والانشغال بالمسابقات، والعزوف عن التزوّد بالأعمال الصّالحة. واحذري مجالس اللّغو ذات المواضيع التّافهة أو المتكرّرة، واحفَظي لسانَك مِن الغِيبة والنّميمة وفاحش القول، وأَلْزِمي نفسَكِ بالكلام الطيّب الجميل، وتأمّلي حفظكِ الله في حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم :(كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الظَّمَأ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَر)، لتُدْرِكِي خسارةَ مَن لم تَصُمْ جوارحُه عن الآثام.

– إيّاكِ ختاه والغضب وفقدان السّيطرة على الأعصاب والثّوران لأتفه الأسباب؛ بل اصبري واكظمي غَيْظَكِ واعفي عن المسيء، قال الله تعالى: ﴿وَالكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وآكد ما يكون ذلك في شهر رمضان؛ قال صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربّه: (إِذَ كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفث، وَلاَ يَصْخب، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فليقل: إِنِّي امْرؤٌ صَائِم).

– لا تُضيّعي فضائل ليالي رمضان والعشر الأواخر منها خاصّة في شراء ملابس العيد وحاجيّاته، أو الذّهاب إلى الخيّاط، أو شراء لوازم الحلوى استعداداً للعيد، فإنّها أمور يمكن قضاؤها والانتهاء منها قبل دخول الشّهر أو في أوّله، حيث تكون الأسواق شبه فارغة والأسعار رخيصة، فضلا عمّا يُوفّره لكِ هذا الحلّ مِن أوقات.

الحلقة السادسة: كونوا ربانيين لا رمضانيين

لقد خلقنا الله تعالى لغاية شريفة هي عبادته قال تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات:56، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة

والباطنة، وهي تتضمن غاية الذل والخضوع لله تعالى مع المحبة له، وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل عليهم السلام جميعاً، فما من نبي إلا وأمر قومه بالعبادة، **قال الله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)**الأنبياء:25، وبناء على مفهوم العبادة في الإسلام يتضح لنا أنَّ الحياة كلَّها بأيامها وشهورها وسنينها، بل بدقائقها هي مسرحا للعبادة ما دام غايتها إرضاء الله تعالى بفعل ما افترض وبالتزام ما أوجب، والابتعاد عمَّا نهى عنه. وما على المرء إلا أن يصاحب النية الصالحة جميع الأعمال الصادرة عنه ليكون عبداً ربانياً، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى".

فالعبودية هي وظيفة العمر التي خلق الله تعالى البشر لأدائها وتحقيقها، وأمرهم بالقيام بهذه الوظيفة، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على هديهم حقيقة هذه الوظيفة، فذاقوا السعادة، ووجدوا الطمأنينة والراحة، ونعيم الدنيا والآخرة. فما كانوا يعبدون الله في وقت دون وقت، أو في شهر دون شهر، كحال كثير من مسلمي اليوم الذين نراهم ينشطون للعبادة في شهر معين كما في رمضان، أم في أيام معدودة كحال من يحج إلى بيت الله الحرام، فإذا انقضى شهر رمضان، وانقضت أيا الحج عادوا لما كانوا عليه قبلها، فصاروا عباداً لشهر بعينه أو لأيام بعينها، فكم من مسلم داوم على صلاة الجماعة في المساجد، وحسنت أخلاقه نوعا ما في رمضان، فلما انقضى شهر التجارة مع الله تعالى رجع القهقري فما عاد يصلي، بل عاد يتاجر مع الشهوات والمعاصي والذنوب، وهذا وأمثاله ليس عندهم فقه التجارة مع الله عز وجل، فأكثر النَّاس يعرف كيف يتاجر في الدنيا، ولكن القليل منهم من يعرف كيف يتاجر مع الله عز وجل، فنحتاج أن نتعرف على فقه التجارة مع الله عز وجل، فمن فقه التجارة مع الله عز وجل أن يستصحب العبد الإخلاص في كل قول وعمل؛ لأنَّ الله تعالى اشترط الإخلاص، فقال: **(أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) الزمر:3. وقال:(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)** البينة:5، لقد كان سلفنا الصالح يجتهدون في طاعة الله عز وجل ولا يفوتون وقتاً بغير طاعة، فملئوا حياتهم عبادة وطاعة لله عز وجل، بل وتمنوا لو أنهم واصلوا العبادة بعد الموت، فقد بكى أحد الصالحين عند موته، فسئل عن سبب بكائه؟! فقال: "أبكي يصوم الصائمون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم"، وكان ثابت البناني يقول: "يا رب إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي".

أيها الإخوة الكرام: هَل نحنُ رَمَضَانِيُّونَ وَقتِيُّونَ، أَم رَبَّانِيُّونَ مُستَقِيمُونَ؟ لِيَنظُرْ كُلٌّ مِنَّا فِيمَا مَضَى مِن عُمُرِهِ وَأَيَّامِ دَهرِهِ، وَلْيَحكُمْ على نَفسِهِ بِنَفسِهِ، وَإِنَّنَا لَو صَدَقْنَا مَعَ أَنفُسِنَا – وَاللهُ المُستَعَانُ– لَوَجَدْنَا كَثِيرًا مِنَّا رَمَضَانِيِّينَ وَقتِيِّينَ، ننشَطُ في رَمَضَانَ وَنُنَوِّعُ الطَّاعَاتِ، فَإِذَا خَرَجَ تَكَاسَلْنَا وَتَرَاجَعنَا، فَكَأَنَّنَا لم

نُحِسَّ لِلأَعمَالِ الصَّالحةِ بِلَذَّةٍ فَنُدِيمَهَا، وَكَأَنَّنَا لم نَجدْ لِلطَّاعَاتِ انشِرَاحًا في صُدُورِنا فَنَستَمِرَّ عَلَيهَا، وَذَلِكَ مُنذِرُ خَطَرٍ وَمُؤَشِّرُ عَدَمِ إِتقَانٍ لِلعَمَلِ، وَإِلاَّ فَإِنَّ مَن ذَاقَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ وَخَالَطَت بَشَاشَتُهُ قَلبَهُ لم يَزَلْ في ازدِيَادٍ مِنَ الخَيرِ حتى يَلقَى رَبَّهُ، ولم يَزَلْ نَشَاطُهُ في تَوَسُّعٍ حتى يَأتِيَهُ اليَقِينُ.

قال شَيخَ الإِسلامِ ابنَ تَيمِيَّةَ رحمه الله: "إِذَا لم تَجِدْ لِلعَمَلِ حَلاوَةً في قَلبِكَ وَانشِرَاحًا فَاتَّهِمْهُ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ تعالى شَكُورٌ، يَعني أَنَّهُ لا بُدَّ أَن يُثِيبَ العَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ في الدُّنيَا مِن حَلاوَةٍ يَجِدُها في قَلبِهِ وَقَوَّةَ انشِرَاحٍ وَقُرَّةَ عَينٍ، فَحَيثُ لم يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدخُولٌ، وَالقَصدُ أَنَّ السُّرُورَ بِاللهِ وَقُربِهِ وَقُرَّةَ العَينِ بِهِ تَبعَثُ على الازدِيَادِ مِن طَاعَتِهِ وَتَحُثُّ على الجِدِّ في السَّيرِ إِلَيهِ".

أَيُّها الإِخوة الكرام: لَقَد أَمَرَ سُبحانَهُ نَبِيَّهُ وَصَفِيَّهُ حِينَ أَمَرَهُ بِعِبَادَتِهِ أَن يَكُونَ ذَلِكَ مِنهُ على سَبِيلِ الدَّوَامِ وَالاستِمرَارِ وَالثَّبَاتِ، قال جل وعلا: **(وَاعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأتِيَكَ اليَقِينُ)**، وقال سُبحانَهُ: **(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالمِينَ)**، فَلَم يَجعَلْ لِعِبَادَتِهِ نهايَةً وَلا حَدًّا دُون المَوتِ، وَلا لِلعَمَلِ لَهُ وَقتًا دُونَ وَقتٍ وَلا طَاعَةً دُونَ أُخرَى، وَلَقَد وَعَى هذا الأَمرَ وَامتَثَلَهُ، فَكَانَت حَيَاتُهُ مِثالاً لِلعُبُودِيَّةِ الكَامِلَةِ في كُلِّ جَوَانِبِها، وَكَانَ مِن شَأنِهِ المُدَاوَمَةُ على العَمَلِ الصَّالحِ وَإِثبَاتُ مَا اعتَادَ عَلَيهِ مِنهُ، وَكَانَ يَقُولُ: (أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلى اللهِ أَدوَمُها وَإِنْ قَلَّ)، وَهَكَذَا وَصَفَت زَوجَاتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ عَمَلَهُ، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: "كَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيهِ مَا دَاوَمَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ"، وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عنها: "وَكَانَ نبيُّ اللهِ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَحَبَّ أَن يُدَاوِمَ عَلَيهَا"، وَعَن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: "مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ حتى كان أَكثرُ صَلاتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ، وَكَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَيهِ مَا دَاوَمَ عَلَيهِ العَبدُ وَإِن كَانَ شَيئًا يَسِيرًا".

وَلَمَّا كُنَّا مُتَعَبَّدِينَ بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَالتَّأسِي بِهِ وَالسَّيرِ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ فَإِنَّ مِنَ الوَاجِبِ عَلَينَا أَن نَكُونَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ مَا استَطَعنَا، **(لَقَد كَانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كَانَ يَرجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)**. وَمِن هُنَا . أَيُّها المسلمون . فَإِنَّ عَلَى المُسلِمِ الذي يُرِيدُ لِنَفسِهِ الفَوزَ وَالنَّجَاةَ أَن يَسلُكَ الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ وَيَثبُتَ عَلَى الدِّينِ القَيِّمِ مِن غَيرِ مَيلٍ عَنهُ يَمنَةً وَلا يَسرَةً وَلا تَذَبذُبٍ أَو تَمَلمُلٍ، فَيَفعَلَ الطَّاعَاتِ كُلَّهَا . ما استطاع . ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَيَترُكَ المَنهِيَّاتِ كُلَّهَا صَغِيرَةً وَكَبِيرَةً، وَيَتَّقِيَ اللهَ قَدرَ استِطَاعَتِهِ، فَإِذَا زَلَّت بِهِ قَدَمٌ أَو حَادَ عَن طَرِيقِ الاستِقَامَةِ تَابَ وَرَجَعَ وَأَنَابَ، قال تعالى: فَاستَقِيمُوا إِلَيهِ وَاستَغفِرُوهُ، **وقال تعالى: (اتَّقِ اللهَ حَيثُمَا كُنتَ، وَأَتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا)**.

أَيُّها الإِخوة الكرام: إِنَّ الاستِقَامَةَ هِيَ طَرِيقُ تَحقِيقِ العُبُودِيَّةِ، وَلِهَذَا فَقَد أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ وَمَن مَعَهُ بِتَحقِيقِهَا، وَأَمَرَ بها مَن كَانَ قَبلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، فقال سُبحانَهُ: **(فَاستَقِمْ كَمَا أُمِرتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)**، **وقال جل وعلا: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاستَقِمْ كَمَا أُمِرتَ)**، وَقَالَ في حَقِّ موسى وَأَخِيهِ عليهِمَا السلامُ: **(قَد أُجِيبَت**

دَعوَتُكُمَا فَاستَقِيمَا)، وَبِالاستِقَامَةِ أَمَرَ مَن استَوصَاهُ، لمَّا جَاءَهُ سُفيَانُ بنُ عَبدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه وقال له: (قُلْ لي في الإسلامِ قَولاً لا أَسأَلُ عَنهُ أَحَدًا غَيرَكَ، قَالَ لَهُ : (قُلْ: آمَنتُ بِاللهِ، ثم استَقِمْ)، فَلا إِيمَانَ إِلاَّ بِاستِقَامَةٍ وَمُدَاوَمَة على صالحِ الأَعمَالِ.

واعلَمُوا أَنَّ مَدَارَ الاستِقَامَةِ عَلَى أَمرَينِ عَظِيمَينِ هُمَا: حِفظُ القَلبِ وَاللِّسَانِ، فَمَتَى استَقَامَا استَقَامَت سَائِرُ الأَعضَاءِ، وصَلَحَ السُلُوكُ والحَرَكَاتُ والسَّكَنَاتُ، ومَتَى اعوَجَّا وَفَسَدَا فَسَدَت الأَعضَاءُ كُلُّها، قَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: (أَلاَ وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً، إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ القَلبُ)، وقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: (لاَ يَستَقِيمُ إِيمَانُ عَبدٍ حَتَّى يَستَقِيمَ قَلبُهُ، وَلاَ يَستَقِيمُ قَلبُهُ حَتَّى يَستَقِيمَ لِسَانُهُ)، قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: صُمِ الدُّنيَا وَاجعَلْ فِطرَكَ المَوتَ، الدُّنيا كُلُّها شَهرُ صِيَامِ المُتَّقِينَ، يَصُومُونَ فِيهِ عَنِ الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَاتِ، فَإِذَا جَاءَهُمُ المَوتُ فَقَدِ انقَضَى شَهرُ صِيَامِهِم، وَاستَهَلُّوا عِيدَ فِطرِهِم. مَن صَامَ اليَومَ عَن شَهَوَاتِهِ أَفطَرَ عَلَيهَا بَعدَ مَمَاتِهِ، وَمَن تَعَجَّلَ مَا حُرِّمَ عَلَيهِ قَبلَ وَفَاتِهِ عُوقِبَ بِحِرمَانِهِ في الآخِرَةِ وَفَوَاتِهِ، وَشَاهِدُ ذَلِكَ قَولُهُ تعالى: **(أَذهَبتُم طَيِّبَاتِكُم في حَيَاتِكُمُ الدُّنيَا وَاستَمتَعتُم بِهَا)**.

أَيُّها الإخوة الكرام: ألا مَا أَجمَلَ الاستِقَامَةَ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّوبَة وَالإِنَابَة وَالازدِيَاد مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ! وَمَا أَعظَمَهَا حِينَ تَكُونُ بَعدَ الطَّاعَةِ! فَهَذِهِ حَالُ المُؤمِنِ الصَّادِقِ في إِيمَانِهِ، الذِي لاَ يَغتَرُّ بِمَا قَدَّمَ مِن عَمَلٍ، وَلاَ يَركَنُ إِلاَّ إِلى رَحمَةِ اللهِ تَعَالى وَفَضلِهِ؛ لأَنَّهُ يَعلَمُ أَنَّ عَمَلَهُ في جَنبِ مَعَاصِيهِ وَغَفلَتِهِ عَنِ اللهِ تَعَالى قَلِيلٌ، وَأَنَّهُ مَهمَا عَمِلَ في جَنبِ نِعَمِ اللهِ عَلَيهِ وَفَضلِهِ وَإِحسَانِهِ وَسِترِهِ فَلَن يُوَفِّيَ ذَلِكَ بَعضَ حَقِّهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالى **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ مِنَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ هُم مِن خَشيَةِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِم يُؤمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لا يُشرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ أَنَّهُم إِلى رَبِّهِم رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ في الخَيرَاتِ وَهُم لَهَا سَابِقُونَ)**. رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللهِ)، ثمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِهِ وَعَن شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهِ)، ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون).

مَا أَتعَسَ المَرءَ حِينَ يَهدِمَ مَا بَنَى وَيُفسِدَ مَا أَصلَحَ! وَمَا أَقَلَّ حَظَّهُ إِذْ يَرتَدَّ إِلى حَمْأَةِ المَعصِيَةِ وَظُلمَةِ الكُفرِ بَعدَ أَنْ ذَاقَ لَذَّةَ الإِيمَانِ وَحَلاَوَةَ الطَّاعَةِ! وَلَقَد كَانَ مِن دُعَاءِ المُصطَفَى في صَلاَتِهِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمرِ وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشدِ)، بل كان أَكثَرَ دُعَائِهِ: (يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي عَلَى دِينِكَ).

لقد وُصف الربانيون في القرآن بأوصاف عديدة تتكامل بها صفاتهم:

– فقد وصفوا بالثبات في الجهاد والصبر على البلاء: **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)** آل عمران:146.

– ومن علامات الربانيين أنهم يحرصون على تحكيم الشريعة وإقامة الدين: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)** المائدة: من الآية44.

– وفي موضع آخر وصفهم الله بأنهم المرشحون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: **(لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الأثم وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)** المائدة:63.

– وجعل الله ميزة الربانيين في قيامهم بتعليم كتاب ربهم وحرصهم على الاستمرار في التعلّم : **(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)** آل عمران:79. فالرباني يبني نفسه ويبني غيره، يعمل بما علم، ويعلّم ما تعلم.

– وقد حوت كتب التفسير والسنة كثيرا من الصفات المميزة للرجل الرباني، ففي صحيح البخاري وعند ترجمة (باب العلم قبل القول والعمل): (قال ابن عباس رضي الله عنه: كونوا ربانيين: حلماء فقهاء، ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره).. يقول ابن حجر رحمه الله: (والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها، وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده).

– وأساس الربانية الإخلاص في ابتغاء رضى الرب عز وجل، **قال الأصمعي والإسماعيلي: (الرباني نسبة إلى الرب، أي الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل).**

– ومن اللفتات الطريفة في وصف الرباني أنه الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة" وهي إشارة طريفة تنفي التصور المتفشي لدى بعض من قصرت أفهامهم عن العالم الرباني بأنه بعيد عن عصره، غافل عن قضايا وهموم أمته. وقد أكد هذه الميزة في الرباني **أبو عبيدة بقوله:" سمعت عالما يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون."**

فالرباني مدرك لتاريخ الأمة مبصر لسنن الله في خلقه بصرا يتيح له أن يتوقع ما يكون حين تتوفر أسباب مضاء السنة الكونية والاجتماعية.

– ويتميز الرباني بأنه الكامل في العلم والعمل، الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل ودينه" أما حين يغفل العلماء عن مجتمعاتهم أو يسكتون عما يجري فيها ويتساهلون فتلك ظاهرة الفناء كما

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار..)**، يقول:" فهذه السمة سمة سكوت القائمين على أمر الشريعة والعلم الديني عما يقع في المجتمع من إثم وعدوان هي سمة المجتمعات التي فسدت وآذنت بالانهيار".

– إنَّ من أعظم سمات الربانيين أنَّهم لا يبيعون دينهم بدنياهم، وأنهم لا يساومون، ولا يتنازلون عن حق اعتقدوه، بل يدعون إليه ويصبرون عليه، وإن كلفهم ذلك بذل الأرواح، وتقديم المهج في سبيل الحق الذي يدينون به ويدعون إليه، وكيف لا يكونون كذلك وقد خالطت حلاوة الإيمان بشاشة قلوبهم، فتطلعوا إلى ما عند الله من الدرجات العلا والنعيم المقيم، وهم كذلك امتداد للصالحين الربانيين على مدار التاريخ الذين صبروا على الأذى، فرفع الله تعالى قدرهم، وأعلى في العالمين ذكرهم.

– فلا مجاهدة حقيقة للعدو بلا ربانية، ولا ربانية بغير علم وعمل، وحكمة وإخلاص، وصبر وتربية وبصيرة ... والذين يتبؤون مراكز التوجيه ويتصدرون ساحات الجهاد لا بد أن يأخذوا أنفسهم بالعزيمة ليحسنوا أداء دورهم القدوة، وليستحقوا من الله تبوأ "العليين" و"مقعد صدق" في الدار الآخرة، ولينالوا وسام (الربانية) بما يتعلمونه ويعلّمونه.

الحلقة السابعة: ترك الزُّور والعمل به في رمضان والصوم إيمانا واحتسابا

روى البخاري، وأبو داود وغيرهما، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال: (مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامَه وشرابه) الزُّور: الكَذِب، والبُهتان، والافْتراء، واللَّفظ مأخوذ منَ الزور، والازْوِرار: أي المَيْل والانْحِراف به عنِ الحق، وسُمِّيَ الكَذِبُ زورًا؛ لأنه ميل عنِ الصِّدق، وانحرافٌ عن مُطَابقة الواقع، وقد جاء لفظ الزُّور في القرآن الكريم في أربعة مواضع:–

ففي سورة الحج: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) الحج: 30. وفي سورة الفرقان: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا) الفرقان:4، وفي سورة الفرقان أيضا:

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) الفرقان:72. وفي سورة المُجادلة: (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا] المجادلة: 2.

وهذا الهَدْي النَّبَوي الحكيم: (مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامَه وشرابه) فيه إرشادُ الصائم إلى ما ينبغي أن يَتَخَلَّقَ به، وأن يتخذه شعارًا لِعِبادته، وفيه إرشاد المسلم إلى أنَّ العبادات ما هي إلاَّ وسائل لِصَلاح حال الناس، وأمن كل فرد على نفسه، وعِرضه، وماله، وكُل حقوقه.

فكلُّ عبادة فَرَضَها الله على المسلمينَ، ليس المقصود منها مُجَرَّد هَيْكلها المادي وصورتها الظَّاهريَّة، وإنَّما المقصود منها روحها ولبُّها، الذي يُهَذِّب الخُلُق، ويصلح النَّفس، ويُباعد بينها وبين الشُّرور والآثام. فمثلا ليس المقصود منَ الصلاة مُجَرَّد قيام، وقُعُود، ورُكُوع، وسُجُود، وتكبير، وتسبيح؛ وإنما المقصود منها استحضار ألوهيَّة الواحد الأحد، وتَذَكُّر عظمته وقدرته، ونعمته ورحمته، وبِهَذا الذِّكر الدائم المُتَكرر كل يوم يخشى المسلم عذاب ربِّه، ويرجو رحمته، وعن هذا الخوف والرَّجاء يُقاوم نفسَه الأَمَّارة بالسُّوء، وينتهي عنِ الفَحْشاء والمُنْكر.

وليس المقصود منَ الصَّوم مُجَرَّد الكَفِّ عن شَهْوَتَي البطن والفَرْج، مِن قبيل طُلُوع الفجر إلى غُرُوب الشَّمس، وإنما المقصود منه السُّمُو بالنَّفس إلى المستوى الملائكي، وصَوْن الحواس، عنِ الشُّرور والآثام، فالكفُّ عنِ الطَّعام والشَّراب ما هو إلاَّ وسيلة إلى كَفِّ اللِّسان عنِ السَّبِّ، والشَّتْم، والصخب، وإلى كف اليد عنِ الأذى، وإلى كف البَصَر عنِ النَّظرة الخائنة، وإلى كفِّ السَّمع عنِ الإصغاء للغيبة والنَّميمة وقول المُنْكر. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، والمحارم، ودع

أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء".

فالمقصود منَ الصِّيام أن يكونَ رياضة، تحدُّ مِن ثورة النَّفس البهيميَّة؛ لتُقَوِّي في الإنسان ناحية الملائكيَّة، والشِّعار الملائكي: لا فُحش، ولا مُنكر، ولا زور، ولا كَذِب، ولا أذى، وعن هذا عَبَّر سول الله صلى الله عليه وسلم بِقَوله: (مَن لَمْ يَدَع قول الزُّور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامَه وشرابه)؛ لأنَّه إذا ترك طعامه وشرابه، وما ترك كذبه، ولا افتراءه، ولا غِشَّه، ولا تدليسه، ولا إيذاءه، فقد جاع وما صام، وحَقَّق الهيكل المادي للصوم، وأهمل روحه، وعني بالصُّورة الشَّكليَّة الظاهرة، وما عني بالكلمة الإلهيَّة المقصودة، والله غنيٌّ عنِ العبد وعبادته، وما كلف عبده بما كلفه إلاَّ لِمَصلحة العباد أنفسهم، فإذا كانت عبادتهم مُجَرد صور وأشكال، فهيَ لا تُحَقِّق ما قَصَده الله مِن تَعَبُّدهم بها.

ما أبلغ قول الرَّسول صَلَّى الله عليه وسلم: (مَن لم يدع قول الزُّور والعمل به)؛ لأنَّ الزُّور – أي: الكَذِب والافتراء – كما يكون بالقول، يكون بالعمل، فالكذب – ودعوى الإنسان ما ليس حقًّا له – وإنكار ما هو حق عليه، وشهادة الإنسان بِغَير الحق، وكل ما يقوله الإنسان وهو باطل غير مُطَابق للواقع، هو مِن قول الزُّور، والغِش، والتَّدليس، وتلفيق التُّهَم على الأبرياء، والسَّعي بالفساد بين الناس، وكل عمل هو مَيْل عنِ الحق، هو منَ العَمَل بالزُّور، والمقصود منَ الصِّيام الكَفُّ عَنْ قول الزُّور، وعمل الزُّور.

ورُب قائل: لماذا خَصَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم (قول الزُّور والعمل به)، مع أن سائر الشُّرور والآثام مثله، وعلى الصَّائم أن يَدَعها، ويكف عنها

جميعًا؟ وكثيرا ما يطرق سمع المسلمين أحاديث فضل شهر رمضان، وفضل صيامه وقيامه وفعل الخير فيه، إلا أن أكثر الأحاديث تداولا بين عامة المسلمين، ويحفظها الصغير قبل الكبير، ثلاثة أحاديث تتحدث عن الصيام والقيام وليلة القدر، والقاسم المشترك بين هذه الأحاديث الثلاثة هو جملة تكررت بنفس الصيغة ألا وهي "إيمانا واحتسابا". أما الأحاديث الثلاثة فكلها في الصحيحين وهي:-

1- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" .

2- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

3- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (صحيح البخاري).

قَالَ النَّوَوِيُّ : مَعْنَى إِيمَانًا : أي تَصْدِيقًا بِأَنَّهُ حَقٌّ مُعْتَقِدًا فَضِيلَتَهُ، وَمَعْنَى احْتِسَابًا : أَنْ يُرِيدَ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا يَقْصِد رُؤْيَةَ النَّاسِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُخَالِفُ الْإِخْلَاصَ. وجاء شرح العبارة أيضا على لسان ابن حجر العسقلاني حيث قال : وَالْمُرَاد بِالْإِيمَانِ الِاعْتِقَاد بِحَقِّ فَرْضِيَّةِ صَوْمِهِ، وَبِالِاحْتِسَابِ طَلَب الثَّوَابِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ : اِحْتِسَابًا أَيْ عَزِيمَة، وَهُوَ أَنْ يَصُومَهُ عَلَى مَعْنَى الرَّغْبَة فِي ثَوَابِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ بِذَلِكَ غَيْرَ مُسْتَثْقِل لِصِيَامِهِ وَلَا مُسْتَطِيل لِأَيَّامِهِ. وعلى الرغم من تضمن شرط الإيمان بالله تعالى واحتساب الأجر والثواب عنده في كل عبادة أو

طاعة يؤديها المسلم من صلاة أو زكاة أو حج أو غير ذلك، فقد ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانًا بِي وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ". إلا أن بروز هذين الشرطين في عبادات شهر رمضان كان أوضح وأشهر.

وقال ابن حجر : قوله: "إيمانًا": أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، واحتسابا": أي طلبًا للأجر، لا لقصد آخر من رياء ونحوه

فما السر في هاتين الكلمتين اللتين جعلهما النبي صلى الله عليه وسلم شرطا ضروريا وحتميا لقبول الطاعات ومغفرة ما تقدم من ذنوب العباد في شهر الصيام ؟؟

أما الشرط الأول: فالسر فيه أن الله تعالى لا يقبل من الخلق أي طاعة أو عبادة إلا إن كانت بعد كمال الإيمان به والاعتقاد بألوهيته، وبعد الاعتقاد بفرضية ووجوب ما يأمر به أو ينهى عنه، إذ كيف يمكن أن يثيب الله تعالى إنسانا على فعل أو عمل وهو بعد لم يؤمن بالله إلها ، وبالتالي فهو لم يقدم عمله طاعة وعبادة لله. نعم قد يفعل غير المؤمن بالله تعالى بعض الأفعال التي توافق أو تشابه طاعة أو عبادة فرضها الله على المؤمنين، إلا أنه لم يفعلها عبودية لله تعالى وخضوعا لأمره وتنفيذا لمشيئته، ولم يفعلها اعتقادا بفرضيتها ووجوبها عليه من الله تعالى، وإنما فعلها بدافع آخر قد يكون ماديا أو معنويا.

فقد يصوم بعض الناس من غير المسلمين صياما طبيا نظرا لفوائده الصحية على الجسد، وقد يتشابه هذا الصيام من قريب أو بعيد بصيام المسلمين في شهر رمضان، إلا أن ذلك لا يعتبر عبادة ولا طاعة لله، وإنما تعتبر طاعة لمصلحة الجسد والنفس البشرية.

قد يقول قائل : إن المخاطبين بالأحاديث النبوية الثلاثة السابقة هم من المؤمنين بالله إلها وخالقا، فما السر في التأكيد على شرط "إيمانا"؟ أقول: لعل الإجابة تكمن في تذكير المسلم بضرورة استحضار عبوديته لله تعالى في كل عبادة أو طاعة يؤديها له، واستحضار وجوب وفرضية هذه العبادة التي يؤديها، حتى لا تنقلب العبادات مع مرور الوقت والزمن إلى عادات، مع ما في هذا التحول من مفاسد على جوهر العبادة وهدفها وغايتها.

أما الشرط الثاني: "واحتسابا"، فالسر فيه يتوافق مع خصوصية شهر الصيام ، فإذا كانت معظم العبادات المفروضة قد يدخلها نوع من الرياء، نظرا لكونها عبادات مرئية للخلق بشكل أو بآخر، فإن الصيام يختص بكونه العبادة التي لا يمكن لأحد أن يطلع عليها إلا الله، ولذلك جاء في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ : (الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي) فإذا كان الصوم بهذه الخصوصية بين العبد وربه، فإن الإخلاص يكون بلا شك من أهم شروطه ولوازمه، فلا بد أن يحتسب المسلم بصيامه رضا الله تعالى والأجر والثواب منه وحده، وألا يلتفت إلى مدح الناس وثنائهم أو أي شيء آخر من قبيل ذلك. ومرة أخرى نعود إلى قضية العادات التي قد تزاحم العبادات وتحل محلها، فقد لا يكون الرياء والسمعة والمفاخرة أعداء الإخلاص فحسب، بل هناك عدو آخر خفي، ألا وهو

خلو العبادة من نية الإخلاص لله تعالى، من خلال تكرار العبادة دون استحضار نية صالحة فيها حتى تنقلب إلى عادة ، وهو ما يقع فيه كثير من المسلمين في هذه الأيام.

فلا بد أن يكون المسلم يقظا مستحضرا نية طلب مرضاة الله وتنفيذ أمره والطمع بثوابه بصيامه وقيامه ، ولعل ذلك هو سر تذكير وتركيز الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث الصيام على "إيمانا واحتسابا".

وهذه امرأة ضيعت صومها..، صامت عن الحلال وأفطرت على الحرام "فعن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا وأن رجلا قال يا رسول الله إن هاهنا امرأتين قد صامتا وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش فأعرض عنه أو سكت ثم عاد وأراه قال: بالهاجرة قال: يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا قال: ادعهما قال: فجاءتا قال: فجيء بقدح أو عُسٍّ فقال لإحداهما: قيئي؛ فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى: قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس".

لكن المرأة المؤمنة كانت على أيام الصحابة رضي الله عنهم تقول لزوجها إذا خرج للعمل أو غيره : (اتق الله فينا ولا تطعمنا من حرام، إنا إن نصبر على جوع الدنيا خير لنا من أن نصبر على نار جهنم).

وإن للصيام أثرًا عظيمًا في تربية النفوس على فضيلة الإخلاص، وألا يراعى في الأعمال غيرُ وجه الله جل وعلا. ذلكم أن الصائم يصوم إيمانًا واحتسابًا،

ويدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله تعالى وأيُّ درسٍ في الإخلاص أعظمُ من هذا الدرس؟

نسأل الله أن يرزقنا الإيمان والاحتساب في الصيام والقيام حتى نكون ممن تشملهم مغفرةُ الله تعالى لما تقدم من ذنوبهم... اللهم آمين..

الحلقة الثامنة: رمضان شهر تتلألأ فيه محبة الله تعالى لعباده الصادقين

إن شهر رمضان الكريم إذا أقبل بخيره وبركته على العباد، كان مِنَ الله على عباده المؤمنين الإعانة والتوفيق لطاعته، وإقامة عبوديته، وظهور آثار محبته في قلوب المؤمنين، لما يظهرنه من الامتثال لأمره واجتناب نهيه، وظهرت في رمضان الكريم على العباد علامات محبتهم لربهم جل وعلا، وزادت هذه المحبة في قلوبهم بزيادة الإيمان، وازدادت الطاعات والعبادات، واجُتنبت السيئات والمنهيات.

إن منزلة المحبة هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها، فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه! تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله تعالى يوم قدر المقادير بمشيئته وحكمته البالغة: أن المرء مع من أحب،

فيا لها من نعمة على المحبين سابغة، تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهور الفرس نائمون، وقد تقدموا الركب بمراحل، وهم في سيرهم واقفون.

أسباب محبة الله تعالى:

1- الوفاء بالعهد وتقوى الله تعالى: قال الله تعالى: (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) آل عمران:76، أي من عاهد إنسانا على الأمانة وردها وأتمَّ العهد فإنه قد اتقى الله عز وجل، وحصَّل محبة الله سبحانه. فالله يحب الذين يتقونه في كل شيء، ومنه عدم نقض العهد، وقال الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) التوبة:4. وقال الله تعالى: (فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)التوبة:7. ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ الله يحب العبد التَّقَّي، الغنيَّ، الخفيَّ".

2- الإحسان في عبادة الرب، والإحسان في معاملة الخلق: لما سأل النبي صلى عليه وسلم عن الإحسان قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". والمحسنون هم المتقنون لأعمالهم غاية الإتقان، والمحسنون في الإنفاق. فأخبر سبحانه أنه يحبهم، كما في قوله تعالى: (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة:195، وقوله تعالى:(الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)آل عمران:134. وإذا علم العبد أنّ الإحسان موجب لمحبّته سبحانه، سارع إلى امتثال الأمر به، وأخلص في عبادته لربه عز وجل.

3- القسط والعدل في جميع الأحوال: قال تعالى: (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الحجرات:9، وقال تعالى:(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) المائدة:42.

4- التوبة والرجوع إليه سبحانه كما في قوله تعالى:(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة:222.

5- تطهير القلب وتطهير البدن والثياب من النجاسات الحسية والمعنوية: يقول الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة:222. ويقول تعالى: (لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)التوبة:108

6- إتباع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته: ويدل عليه قول الله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران31. وهذه الآية يسميها بعض علماء السلف: آية المحنة، يعني الامتحان، لأنَّ قوماً ادعوا أنهم يحبون الله فأمر الله نبيه أن يقول لهم:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني).

7- **الجهاد في سبيل الله:** لقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ) الصف:4. وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) المائدة:54.

8- **التوكل على الله تعالى:** قال تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)آل عمران:159، والتّوكّل على الله هو اعتماد القلب على الله بالكلية، مع الثّقة به سبحانه وتعالى، والأخذ بالأسباب المشروعة، والتبرؤ من كل قوة وحول.

9- **الصّبر:** قال تعالى:(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)آل عمران:146.فالله يحبّ عباده الصّابرين على طاعته، والصّابرين عن معصيته، والصّابرين عند ابتلائه.

10- تحقيق عقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين؛ والرحمة بالمؤمنين، والعزة على الكافرين: قال الله تعالى:(فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) سورة المائدة:54. وتحقيق لازمها وهو: الحب في الله والبغض في الله تعالى: عن ابن عباس قال: "أحب في الله، ووال في الله وعاد في الله، فإنما تنال ولاية بذلك. لا يجد رجل طعم الإيمان وإن الغرماء صلاته وصيامه حتى يكون كذلك".

11- **التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض:** لقوله تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما يتقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...".الحديث..

والفرائض تشمل فرائض العين والكفاية، والنوافل هي جميع ما ندب إليه الشارع من الأقوال والأفعال.

13- **الحبّ، والتزاور والتباذل والتّناصح في الله تعالى:** جاءت هذه الصفات في حديث واحد، فعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتىً براق الثنايا، وإذا النّاس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجّرت فوجدته

قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلّي، فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله إنّي لأحبّك لله! فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فأخذ بخبوة ردائي فجذبني إليه فقال أبشر فإني سمعت رسول اللَّه صلّى الله عليه وسلّم يقول: "قال اللَّه تبارك وتعالى: وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ".

14- **محبّة الأنصار** من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم: عن البراء بن عازب رضي اللَّهُ عنه أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال في الأنصار: "لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه اللَّه، ومن أبغضهم أبغضه اللَّه".

15- **الزّهد في الدنيا:** لحديث سهل بن سعد السّاعديّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملته، أحبّني الله، وأحبّني النّاس، قال: "ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما عند النّاس يحبك النّاس".

16- **الرفق:** عن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: السّام عليكم، قال عائشة: ففهمتها، فقلت: عليكم السّام واللعنة، قالت: فقال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "مهلاً يا عائشة، إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كله". فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "قد قلتُ: وعليكم". والرّفق: هو لين الجانب في القول والفعل.

- **النظر في خلق الإنسان نفسه والتدبر في نعم الله الكثيرة** التي لا تحصيها: لقد جبلت قلوب العباد على محبة من أحسن إليها، والحب على النعم من جملة شكر المنعم. ولهذا ورد في الأثر:"أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه".

- **محبة الأعمال القولية والفعلية والقلبية** التي شرعها الله تعالى: إن الله عز وجل يحب كل ما شرعه من الأعمال القولية والفعلية والقلبية، ومحبتها من العبد تعني أن يحبَّ الذي يحبُّه الله تعالى ويحبَّ المشرع نفسه، إذاً محبة هذه الأعمال تجعل العبد يحبُّ الله تعالى، لأن الله يجازيه على هذا أن يضع محبته في قلبه، فيحب الله إذا قام بما يحب الله".

- **محبة لقاء الله تعالى:** فعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: "ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه".

ثمرات محبة الله تعالى للعبد: إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

1- الحمية عن الدنيا: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه". فيحفظه من متاع الدنيا ويحول بينه وبين نعيمها وشهواتها، ويقيه أن يتلوث بزهرتها لئلا يمرض قلبه

بها وبمحبتها وممارستها. فالله عز وجل إنما يحميهم لعاقبة محمودة وأحوال سديدة مسعودة.

2- **حسن التدبير للعبد:** من علامات حب الله للعبد حسن التدبير، فيربيه ربه عز وجل من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله فيجتبيه لمحبته ويستخلصه لعبادته، ويشغل لسانه بذكره وجوارحه بخدمته، فيتبع كل ما يقربه، وينفر عن كل ما يبعده عنه، ثمَّ يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هماً واحداً فإذا زاد في المحبة شغله به عن كل شيء.

- **القبول في الأرض:** المراد به قبول القلوب له بالمحَبَّة والميل إليه والرضا عنه والثناء عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسناً، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئاً وضع الأرض". وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه، قال فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء: إنَّ الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض".

- **الموت على عمل صالح:** عن عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عبداً عسّله، فقيل: وما عسّله؟ قال: يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه- أو قال- من حوله".

- **الهداية والتوفيق:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه. وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.. الخ". إن الحديث يدل على أن الله تعالى يمدُّ العبد المتقرب إليه بالفرائض والنوافل بنوره الذي يظهر له طرق الهداية وتبعد عنه الغواية. وأن الله يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه من الوقوع فيما يكرهه الرب سبحانه وتعالى.

7- **الابتلاء للتمحيص من الذنوب:** إذا أحب الله قوماً ابتلاهم وفرَّغ قلوبهم من الاشتغال بالدنيا غيرةً عليهم أن يقعوا فيما يضرهم به في الآخرة وجميع ما يبتليهم به من ضنك المعيشة وكدر الدنيا وتسليط أهلها ليشهد صدقهم معه في المجاهدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وإنَّ الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".

8- **إجابة دعاء العبد:** من علامات محبة الله لعبده أن يستجيب دعاءه، ويدلُّ عليه قوله تعالى في الحديث القدسي: "فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني لأعيذنه".

الحلقة التاسعة: رمضان شهر المودة والرحمة

إن رمضان شهر الرحمة والأسرة فيه ينبغي أن تعظم بين أفرادها روابط الرحمة إذ هو شهر كريم يجب أن ترقى فيه النفوس وتترفع طمعاً في مرضاة الله سبحانه، وقد ذكر الله السبب في مشروعية الصيام، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، ووصفه نبيه صلى الله عليه وسلم

(الصيام جنة)، إذاً ليس المقصود من الصوم ترك الطعام والشراب بل المطلوب تهذيب وتربية النفس حتى تلزم أمر الاستقامة في كل شؤونها وعلاقاتها.

ومن أعظم العلاقات وأهمها الروابط الأسرية الزوج مع زوجته، والأب مع أبنائه، والأم مع أولادها، ومن العجب أن تتحول الرحمة والمودة والسكن في شهر الرحمة إلى الصخب والجهل والصياح والسفه والخصام.

وقد كان من الأولى أن تترسخ هذه العلاقات الطيبة وتحسن حين تضيق مجاري الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضيق نفوذه، لكن في الحقيقة حين يكون الهم الأول الذي تعيشه الاسرة في هذا الشهر هو الأكل والشرب والنوم والآثام لا تحصل المودة والرحمة بل تحصل الفرقة والاختلاف فبالذنوب تفترق الأحبة.

وهناك بعض الخطوات العملية للتأليف بين أفراد الأسرة ونبذ الخلاف ومنها:

1- اجتماع الأسرة عند الافطار وتذكير الوالد أولاده بالدعاء المستجاب عند الإفطار، والدعاء بالأدعية (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين).

2- حرص جميع أفراد الأسرة على توفير التآلف وتقديم العون واحتساب الأجر في ذلك.

3- اصطحاب الوالد لأولاده وزوجته إن رغبت في صلاة التراويح والقيام فهذا الذهاب والإياب له أثر إيجابي كبير على الأنفس.

5- حض الوالدين لأولادهم وتشجيعهم على ختم القرآن الكريم عدة مرات وتنافسهم جميعاً في ذلك.

5- اجتماعهم على السحور.

6- اجتناب المعاصي والآثام حتى لا يصير شهر الطاعة شهر معصية عند البعض، وبالتالي تكون الخلافات الأسرية.

7- الحرص على الصدقة والعمل الصالح عامة فبالطاعة تستجلب المحبة بإذن الله.

العفو والمغفرة:

إن شهر رمضان شهر الخير والرحمة والمغفرة والنفحات الكريمة، شهر تتصفد فيه مردة الشياطين، شهر تقبل فيه القلوب إلى بارئها، شهر تتآلف فيه القلوب، وتجتمع فيه الأسر على الطاعات وأعمال البر، وموسم يصحح فيه المسلم علاقته بربه وبالناس ومن أخص الناس الذين أوصى الله ببرهم والإحسان إليهم ذوي القربى، فما أحرانا لاستغلال نفحات الشهر الكريم في إصلاح الشأن ونزع فتيل الخلاف وتعميق أواصر المحبة.

نعم إنها فرصة عظيمة وباب خير قدره الله بما خص هذا الشهر من خصائص جليلة، ففي شهر رمضان تربية على فعل الخيرات وتدريب النفس على اكتساب الأخلاق الحميدة والتسامي عن الخلافات وسد باب النزاع والافتراق، فشهر رمضان يربي على ضبط النفس والحلم وقد حثنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً في رمضان على هذه الخصال الحميدة فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم).

فما أحوجنا في شهر رمضان وفي كل زمان إلى التسامح والمودة وكظم الغيظ والعفو عن الناس وقد امتدح الله تعالى اصحاب هذه الصفات الحميدة، قال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}وإن كان كظم الغيظ والعفو عن الناس مندوباً إليه في كل حال ومع الناس عموماً فهو من الأقرباء أعظم أجراً وأوقع أثراً والأقربون أولى بالمعروف.

أمور عملية تعين على رأب الصدع وإصلاح ذات البين وإعادة الألفة والمودة في نطاق الأسرة الواحدة ومن ذلك:

1- تذكير الناس بفضل شهر رمضان ونفحاته، والتنبيه إلى شؤم المعصية ومنها فساد ذات البين والتحذير من قطع أواصر المحبة والألفة بين الأقارب.

2- التأكيد على مكانة ومحاسن إصلاح ذات البين، والعفو والمغفرة والتسامح والتغاضي عن الزلات.

3- الحرص على إقامة موائد الإفطار الجماعية التي تجمع الأسرة الواحدة والأقارب من أسر متعددة، فلعلها تصفي القلوب من خلال تلك المشاركات وتطفئ شعلة الغضب مع تصفد مردة الشيطانين في هذا الشهر الكريم.

4- ومما يؤلف القلوب وجود هم مشترك ورسالة واحدة، وإنشاء برامج مشتركة في شهر رمضان ومن ذلك المشاركة الأسرية في المشاريع التطوعية الخيرية كإفطار صائم، أو الاشتراك في برامج دعوية واحدة فلعلها باتفاق الأهداف تتآلف القلوب ويصلح الله ذات البين.

5- ومما يوحد الصفوف ويؤلف بين القلوب في شهر رمضان الكريم مشاركة أعضاء الأسرة في برامج تربوية هادفة والتي من خلالها تتحقق المشاركات الوجدانية.

6- تنظيم زيارات دورية في شهر رمضان لصلة الأرحام والتي عظمت الشريعة الإسلامية من مكانتها قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصلته).

الحلقة العاشرة: شواهد الرحمة في آيات الصيام

إنَّ من السمات التي يتصف بها ديننا الحنيف الرحمة. فالرحمة ظل وارف على كافة مبادئ الإسلام وتشريعاته وتعاليمه. والرحمة صبغة ظاهرة في القرآن الكريم تتجلى في أحكامه وتوجيهاته كما تتجلى في لفظه وبيانه.

لقد أنزل الله كتابه العظيم هداية ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: "الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين" (لقمان 1. 3)، وقال سبحانه: "وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين" (النمل 77)، وقال سبحانه : "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" (النحل 89). فالقرآن كتاب رحمة كما هو كتاب هداية للناس.

وقد تبدو بعض الأحكام والتشريعات التي نزل بها القرآن الكريم شاقة ومتعبة وثقيلة على النفوس المطبوعة على الضعف والقصور. ولكن الله عز وجل العليم بعباده وبضعفهم ، والرؤوف الرحيم بهم، لم يكلف عباده عنتا ولم يوقع عليهم حرجا في دينهم. بل جعل سبحانه وتعالى الرحمة واللطف قرين أحكامه المنزلة، رحمة في تفاصيل العبادات، ورحمة في غايتها، ورحمة في أجرها، ورحمة أسلوب التكليف، ورحمة أيضا في نظم الآيات التي أمرت بها. رحمة شاملة من رب رحيم .

ومن العبادات والتكاليف التي تبدو شاقة وثقيلة فريضة: الصيام. فالنفوس تستثقلها لأنها عبادة تدعو إلى الاستعلاء على ضرورات الجسد ومقاومة أقوى شهواته ورغباته. وقد نزل تشريع الصيام في آيات متعاقبات في سورة البقرة سميتها: آيات الصيام (من الآية 183 إلى الآية 187 من سورة البقرة)

وفي النقاط الآتية سوف أتتبع شواهد ودلائل الرحمة الربانية وإشارات الرأفة والتودد واللطف التي بدت لي من خلال هذه الآيات.

أولا : الآية 183 سورة البقرة

1 . في قوله تعالى : "**يا أيها الذين آمنوا**" افتتح الله خطابه بنداء محبب يذكر المؤمن بالرباط الذي يربطه بالله وهو الإيمان به. وهو نداء يتضمن ثناء على المؤمنين وتكريما لهم. ويستثير عزيمة المؤمن نحو تحمل التكاليف. ويدعوه إلى ترقب ما بعد النداء المحبب بنفس متطلعة للاستجابة. يقول الطاهر بن عاشور : وافتتحت بيا أيها الذين آمنوا لما في النداء من إظهار العناية بما سيقال بعده.

من رحمة الله أن يستفتح التشريع بنداء رحيم يستنهض الهمة للاستجابة.

2 . في قوله تعالى : "**كتب عليكم الصيام**" جاء الفعل مبنيا للمجهول فلم يذكر الفاعل. ولم ينسب الأمر إلى الله مباشرة. ذلك أن الفعل: كتب فيه إلزام وفرض وإيجاب وثقل على النفوس. والصيام خاصة فيه حرمان للنفس من أحب الأشياء إليها. وهي ملاحظة تكررت في مواضع عدة من القرآن الكريم. يقول فاضل السامرائي: الله تعالى يظهر

نفسه في الأمور التي فيها خير أما في الأمور المستكرهة وفي مقام الذم أحياناً يبني للمجهول.. لما كان هناك مشقة على عباده قال كُتب ولم يقل كتبنا .

إن العدول عن صيغة الأمر المباشر يلحظ فيه تودد الله ورحمته بعباده .

3 . في قوله تعالى: "**كما كتب على الذين من قبلكم** " تسلية للمؤمنين حال تحملهم لهذا التكليف، وفيه حث وتشجيع على الصيام بعد فرضه وإيجابه، وفيه إثارة للعزيمة نحو أداء هذه العبادة، فهذه الفريضة قد أوجبها الله على المؤمنين من قبل في الرسالات السابقة ، وقد أداها عباد الله من قبل، وفيهم القدوة والسلوة.

يقول ابن كثير في تفسيره: وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك. ويقول الفخر الرازي عند تفسير هذه الآية : وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله. ويقول ابن عاشور: في التشبيه بالسابقين تهوين على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم؛ فإن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب، فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام، وحين تراعي الآيات هذا الجانب في نفس الانسان فهذا مظهر من مظاهر الرحمة واللطف .

4 . في قوله تعالى: " **لعلكم تتقون**" ذكر الله الغاية من الصوم، وهي حصول التقوى، وهي أعظم ما يتمناه المؤمن وغاية ما يسعى لتحقيقه، ويجهد لبلوغه . فإذا علم المؤمن أن الصوم قائد إلى تلك الغاية الغالية أقبل إليه مسرعا . فالنفس تقبل على الأمر الذي يكون له هدف واضح ومرغوب . وتتردد أمام الأمر الذي لا تعرف حكمته ولا هدفه. ومن رحمة الله بعباده أن يبين لهم علة التكليف وغايته التي تعود على المكلف نفسه بالنفع.

ثانيا: الآية 184 سورة البقرة

5 . في قوله تعالى: "**أياما معدودات**" : تقليل وتهوين مدة الصيام. قال ابن كثير: بين الله مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس، فتضعف عن حمله

وأدائه ، بل أياما معدودات" ثم ذكر أن الصيام كان في أول الإسلام أياما معدودات من كل شهر ثم نسخ بصيام شهر رمضان. وقد تتابعت أقوال المفسرين على هذا المعنى. قال السيوطي في تفسيره "أياما معدودات": أي قلائل مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان وقلله تسهيلا على المكلفين. وذكر ابن عاشور عند تفسير الآية أن المراد بالأيام من قوله (أياما معدودات) شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضا؛ تهوينا لأمره على المكلفين . وفي تفسير الجلالين:(معدودات) أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان، وقلّله تسهيلا على المكلفين . وفي تفسير ابن سعدي : ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة. وقد أوضح الفخر الرازي دلالة الرحمة في هاتين الكلمتين بقوله : والمقصود من هذا الكلام كأنه سبحانه يقول: إني رحمتكم وخففت عنكم حين لم أفرض عليكم صيام الدهر كله، ولا صيام أكثره، ولو شئت لفعلت ذلك ولكني رحمتكم وما أوجبت الصوم عليكم إلا في أيام قليلة . من لطف الله رحمته أن جعل الصيام في أيام قليلة معدودة من العام .

6 . في قوله تعالى : " **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**" بيان لرخصة جعلها الله للمريض والمسافر. فقد أعفاهما الله من الصيام حتى يزول عنهم عذر السفر والمرض . وقدم الإشارة إلى هذه الرخصة قبل إكمال تفصيل أحكام الصيام . قال ابن عاشور : وتقديمه هنا قبل ذكر بقية تقدير الصوم تعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال.

إن من شواهد رحمة الله ولطفه إعفاء المرضى والمسافرين من الصيام .و التعجيل ببيان هذه الرخصة .

7 . في قوله تعالى : " **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**"، على قول عامة المفسرين فقد كان الأمر بصيام شهر رمضان تكليفا جديدا فيه مشقة على النفس، وكان من رحمة الله أن أباح للمسلمين في البداية الفطر من دون سفر أو مرض، لكن بشرط إطعام مسكين مقابل

كل يوم. مع الترغيب في الإطعام مطلقا، ومع التحفيز والتحبيب في الصوم بذكر أفضليته على الفطر مع الإطعام.

هذا الإذن بإطعام المسكين بدلا من الصيام من التدرج في التكليف . وهو مظهر من مظاهر الرحمة الربانية بالعباد .

ثالثا : الآية 185 سورة البقرة

8 . في قوله تعالى : " **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** " بيان لما يمتاز به شهر الصيام عن سائر الشهور ، هي نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أو ابتداء نزوله . فكان في نزوله هداية للناس ونعمة ومنة ورحمة من الله على عباده . وفي هذا توطئة للأمر بالصيام في الشهر الذي نزلت فيه هذه الرحمة . حتى تكون عبادة الصيام في هذا الشهر مقابلة لتلك المنة وشكرا لها . قال ابن سعدي : فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام.

من رحمة الله بعباده أن يحبب إليهم الشهر الذي أمرهم بصيامه .

9 . في قوله تعالى : " **فمن شهد منكم الشهر ليصمه** " أمر صريح مباشر بصيام شهر رمضان على كل مسلم بالغ مقيم غير مسافر . وهو تشريع ينسخ التشريع السابق بإباحة الفطر لمن أراد أن يطعم . ومع صراحة التكليف يلاحظ التلطف في الصياغة من خلال تجنب فعل الأمر المباشر وتوجيه الخطاب إلى الضمير الغائب وليس إلى المخاطب. ومن خلال تعليق إيجاب الصيام بشرط الإقامة في البلد .أما المسافر فمن رحمة الله أن الصوم لا يجب عليه حال سفره .

وهكذا تظهر رحمة الله في الصياغة والتعبير كما تظهر في الحكم والتشريع .

10 . في قوله : " **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** " إبقاء على رخصة الفطر للمريض والمسافر ، مع قضاء ذلك الصوم في أيام أخر بعد زوال العذر . وقد تكرر ذكر هذا الحكم لئلا يتوهم نسخه بعد فرض الصوم ورفع الرخصة بالفطر

والإطعام . قال ابن عاشور : وأما ما تقدم في الآية الأولى فهو تعجيل بالإعلام بالرخصة رفقا بالسامعين، أو أن إعادته لدفع توهم أن الأول منسوخ.

وهذا التكرار إبقاء أيضا على رحمة الله وتيسيره على عباده وهو أرحم الراحمين.

11 . في قوله تعالى : "**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**" تقرير لقاعدة شرعية عامة كلها رحمة ورأفة ولطف؛ فالله عز وجل يريد التيسير والتخفيف على العباد في كل ما يشرعه ويأمر به وإن كان ظاهر بعض العبادات غير ذلك أحيانا . ومن غاية الرحمة واللطف أن تأتي هذه القاعدة الشرعية العامة في ثنايا أحكام الصيام فهي تضفي على الآيات ظلال المودة ونسمات الأنس بمحبة الله اللطيف الرؤوف بعباده المؤمنين . إذ إن هذه القاعدة تنفي كل ما قد يخامر القلب من إحساس بثقل هذه العبادة التي كلف بها. وتزرع الثقة بأن كل أحكام الله يسر ومرحمة ، وأن الله سبحانه لا يشرع ما فيه العسر والمشقة على العباد، كيف يكون ذلك وهو أرحم الراحمين؟!

قال ابن سعدي : يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهَّله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات.

12. في قوله تعالى: "**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**" بيان لغايات الصيام وحكمه وفوائده، فهذه التشريعات الربانية هي من أجل أن يكمل المسلمون صيام شهر كامل، ومن أفطر بعذر فعليه القضاء ليكمل عدة الشهر . وهي تشريعات تهدف إلى أن يكبر المؤمنون ربهم ويشكروه على نعمه التي من أجلها هدايته لهم. وذكر غايات وأهداف الأمر والتشريع مما يدعو إلى مزيد من الإقبال والامتثال للأمر. من رحمة الله أن يحفز عباده على طاعته فيذكر لهم ما ينالهم من خير إن أطاعوه واستجابوا لأمره .

رابعا: الآية 186 سورة البقرة

13 . في قوله تعالى: "**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ". يتقرب الله إلى عباده ويفتح لهم بابا عظيما من أبواب الخير هو باب الدعاء. ويحث العباد على دعائه وسؤاله . وهو الغني عنهم بألطف عبارة. تأتي هذه الكرامة في وسط آيات الصيام لحكمة منه ورحمة. ولعل من حكمتها أن تكون المنة في مقابل التكليف، فمقابل العبادة الشاقة التي تحرم النفس من بعض حاجاتها ومطلوباتها هناك عبادة يسيرة تفتح باب العطاء والكرم والإجابة.

يقول سيد قطب عند حديثه عن هذه الآية: نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم والجزاء المعجل على الاستجابة لله. ويقول ابن عاشور: بعد أن أمرهم بما يجب له عليهم أكرمهم فقال: وإذا سألوا عن حقهم علي فإني قريب منهم أجيب دعوتهم. إنها لفتة عجيبة تحمل رحمة وتوددا عظيما من الرحيم الودود سبحانه.

خامسا : الآية 187 سورة البقرة

14 . في قوله تعالى : "**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**"، تدرج آخر في تشريع الصيام. تدرج نحو الرحمة والتيسير والتخفيف ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الأمر بالصوم، فلقد كان الصائم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى العشاء أو إلى أن ينام. ومتى نام أو صلى العشاء حرم عليه كل ذلك إلى الليلة القابلة. فوجد المؤمنون الأولون في ذلك مشقة كبيرة. ثم نسخ الله ذلك الحكم بهذه الآية.. قال سيد قطب في الظلال: فردهم إلى اليسر وتجربتهم حاضرة في نفوسهم ليحسوا بقيمة اليسر وبمدى الرحمة .

لقد كان هذا التدرج نحو التيسير والتخفيف مقابلا للتدرج السابق نحو الإلزام والإيجاب، فلما أوجب الله صيام شهر رمضان كاملا جعل مدة الصيام فيه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وأباح لهم التمتع طوال الليل بكافة المباحات .. وفي التدرج رحمة بالمكلفين ورأفة بالمؤمنين.

15 . في قوله تعالى: "**فالآن باشروهم وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**" أربعة أفعال أمر متصلة بضمير

المخاطبين وهي: باشروهن، ابتغوا، كلوا، اشربوا. وكلها لا تفيد أكثر من الإباحة وليست أوامر ملزمة مثل الأمر بالصوم في نهار رمضان، ومع ذلك نجد هنا الألفاظ مباشرة صريحة موجهة للمخاطبين غير مرتبطة بشرط . وفي نفس الوقت أوامر محببة إلى النفس يميل إليها الإنسان بطبعه وفطرته . بينما لم نجد هذه الصفة المبنية للمعلوم الموجهة للمخاطب غير المقيدة بشرط، لم نجدها في بيان فرضية الصيام وفي الأمر بصيامه لمن شهده . ذلك أن من تودد الله إلى عباده في القرآن الكريم أن يعدل عن الصيغة المباشرة في الأمر الشاق الثقيل على النفس، وأن يوجه إلى الأمر المحبوب المألوف بصيغة مباشرة ومطلقة. ومن رحمة الله وتحببه إلى عباده أن يأمرهم بماهم مقبلون عليه بالفطرة.

16 . في قوله تعالى: "ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"، تتمة بيان أحكام الصيام ونهي عن مباشرة النساء للمعتكفين. ثم تختم الآيات ببيان أن تلك الأحكام في الصيام والاعتكاف من حدود الله التي لا يجوز مخالفتها. ويمتن الله أخيرا على عباده بنعمة بيان الآيات وتفصيل الأحكام وتوضيح الحدود. كل ذلك ليعرف المؤمنون كيف يتقون الله فيسلمون من غضبه وينالون رضاه ويدخلون جنته، ومن أدل الشواهد على رحمة الله أن بين لعباده ما يرضيه عنهم ودلهم على ما يدخلهم في زمرة المؤمنين المتقين..

الحلقة الحادية عشرة: رمضان شهر الانتصار والعزة

إن شهر رمضان لم يشرعه الله للقعود والتخلف عن ركب الجهاد والحركة والدعوة إلى الله، ولم يشرعه كذلك للتحجج به عن التفلت من الالتزامات الوظيفية أو الاجتماعية، بل إنه شهر نشاط وحركة، وفتوحات وانتصارات، فغالبية الهزائم التي لحقت بالشرك وأهله على أيدي المسلمين كانت في شهر رمضان المعظم، وهذا كافٍ لأن ينفض عنَّا غبار الكسل والدعة والخمول. نعم إن رمضان شهر الصبر، وتقوية الإرادة،

وتكامل بناء الشخصية الإسلامية بشقيها الروحي والبدني، مع تحقيق التقوى والرقابة الدائمة لله عز وجل، وكل هذا يمنح المسلم من القوة ما يجعله يقف أمام أعدائه ثابت الجأش، قوي الإرادة، يصبر ويصابر إلى أن يحقق الله تعالى له النصر. وإن من الأمور العجيبة أن كتب الأخبار والتاريخ لم تنقل إلينا ولو خبرًا عن حالة واحدة من التأفف أو الانزعاج من قتال المسلمين لعدوهم بسبب الصيام والحر والعطش، بل ضرب فيها المسلمون أروع الأمثلة في الصبر والثبات والاستسلام لأمر الله تعالى.

إن هذا الشهر العظيم حقق المسلمون فيه انتصارات باهرة منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، وكتب الله تعالى الظهور لهذا الدين في معارك عديدة، وفتوحات كثيرة وكانت الجيوش الإسلامية تثبت وجودها في تلك المواجهات العسكرية، فكان الصوم أعظم عبادة تعين المسلمين على الثبات أمام أعدائهم، فالصائم حين يمسك عن المفطرات نهار رمضان، يبدأ. بمحاربة نفسه عن الوقوع فيها، ويكبح جماع شهواتها، فينتصر عليها، وعلى الشيطان، فيحقق نصرا معنويا يقوي عزمه، ويزيد من يقينه وإيمانه.

ومن هنا ارتبط الصيام بالجهاد، فكلاهما حرب ومقاومة للنفس والعدو، فالصوم تدريب على الجهاد، ولذلك نجد أن المسلمين في شهر رمضان، كانت لهم أقوى المواقف الحاسمة في تاريخ المواجهة بينهم وبين أعدائهم، وكان الفوز والغلبة حليفهم في مثل هذه الأيام المباركة، ففيه كان الفتح الأعظم لمكة المكرمة، وإزالة معاقل الشرك والوثنية، وتطهير الكعبة من دنسها، وإعلان كلمة التوحيد

لقد ربطت سورة البقرة بين فريضة الصيام وأمر الله المسلمين بقتال المعتدين ومجاهدة الظالمين، وهنا تجتمع لدى المجاهد الصائم مجاهدةُ النفس ومجاهدةُ الأعداء؛ فإنِ انتصر تحقَّق له انتصاران: هما الانتصار على هوى النفس، والانتصار على أعداء الله تعالى، فآيات الصيام تبدأ بالآية: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) البقرة:183 إلى آخر الآيات رقم 187، ثم تأتي في السورة الكريمة الآيات 190 فيه تتحدَّث عن الجهاد والقتال، وهي آيات كثيرة تحضُّ على الجهاد، يقول ربنا عز وجل: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) البقرة:190-193.

إنَّ العلاقة واضحة بين آيات القتال وبين آيات الصيام؛ فالإعداد للجهاد هو يسبقه إعداد للنفس، وإعداد للجسد، بل وإعداد للأمة كلها، العلاقة بين الصيام والجهاد وثيقة جدًّا؛ فالتاريخ الإسلامي يؤكد هذا الارتباط، حيث وقعت في شهر رمضان عدة غزوات ومعارك ومن أشهرها وأعظمها: غزوة بدر التي وقعت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، ثم فتح مكة التي حدثت في العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وأبرز المعارك التي انتصر فيها المسلمون إبان عصر الخلفاء الراشدين، فهي معركة القادسية، على الضفة الغربية لنهر الفرات، التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان 16هـ (637م) بين المسلمين والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين فيها نحو عشرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذا الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجسر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يساعدون سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن

خويلد، الذي كان قد ادَّعى النبوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المسلمين والفرس بُغية الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة، فقامت المعركة، وهي من المعارك المهمة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس، فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساسانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وكانت موقعة القادسية بمثابة المعركة الحربية الحاسمة، التي ساعدت الأمة الإسلامية الفتية على أن تنعطف انعطافة جديدة في مسيرتها التاريخية، وذلك كانعكاس طبيعي لانتصارها الظافر على الفرس، الذين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الجناح الشرقي للوجود البشري آنذاك، وبالتالي تسنَّى للأمة الإسلامية في هذه الموقعة الحاسمة تغيير ملامح التاريخ البشري، وذلك بعد أن استطاع المسلمون أن ينهوا الوجود الفارسي وسيطرته على تلك المناطق الهامة من العالم حينئذ، وفي موقعة القادسية تبلوَر أيضا مدى الإعجاز الفريد للجانب العقدي الذي فجَّرت ينابيعه الأثرة الفيّاضة والإيمان الصادق في نفسية المسلمين، وذلك عبر الحوار الذي دار بين ابن من أبناء الحضارة الإسلامية البازغة، وممثل لتلك الحضارة الفارسية الغاربة، وهذان المتحاوران هما: الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه، ورستم قائد الفرس، وذلك عندما دخل ربعي بن عامر على رستم، فقال رستم له: ما الذي جاء بكم إلى هنا؟! قال: جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

وفي 2 رمضان 82هـ (9 أكتوبر 701م) كانت الجيوش الإسلامية في شمال إفريقيا تواجه الروم من جهة، والبربر من جهة أخرى، وكانت زعيمة البربر تسمى الكاهنة، حيث لم يستطع القائد المسلم زهير بن قيس أن ينتصر عليها، حتى جاء الحسان بن النعمان فصمم على فتح جميع بلاد المغرب إذ انطلق متوجها إلى أواسط المغرب والتقى بجيوش الكاهنة وانتصر عليها.

وفي 28 رمضان 92هـ (18 يوليو 711م) نشبت معركة شذونة أو وادي لكة بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر حليف المسلمين، وقد هيأ ذلك النصر أن يدخل الإسلام إلى إسبانيا، التي كانت تسمى بشبه الجزيرة الأيبيرية، وأن تفتح الأندلس وتضم إلى كيان الدولة الإسلامية، وأن تظل دولة مسلمة ثمانية قرون، وتكمن في الفتح الإسلامي للأندلس معجزة الإسلام، فالإسلام كدين وحضارة يحقق به الإنسان، وبقدرة الله، المعجزات.

وتم التقدم في فتح الأندلس بهذا النوع المتميز من أجناد العقيدة الإسلامية في أجواء رمضان المعطرة بشذى الإيمان وبندى الإسلام. فبدا سهلاً أمام هذا النوع من الجند، فقد استهانوا بالصعاب وبذلوا النفوس رخيصة من أجل رفع شأن الإسلام وحضارته الحقة، فأمام هذا النوع من الجند، كانت التضحيات كثيرة والجهد كبير، والدروب شاقة، والمناخ شديد، والجو غريب، والأرض صخرية عنيفة، وكان مستوى العقيدة أعلى من ذلك وأكبر، فانساب الفاتحون بهذه السرعة، فبدت للأسبان كأنها نزهة روحية من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وهي سبب راحة المؤمن وفرحته بنصر الله إن عاش، وبجنته إن استشهد. وفي هذا يقول الحق سبحانه: {هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} (التوبة: 52). ولقد نتج عن هذا الفتح المبين، أن انطلقت الأمة الإسلامية انطلاقتها الحضارية، ووصل إشعاعها إلى أوروبا المظلمة آنذاك.

وفي 2 رمضان 114هـ (26 أكتوبر 732م)، كانت معركة بلاط الشهداء بقيادة القائد المسلم عبدالرحمن الغافقي، والفرنجة بقيادة شارل مارتل، وجرت أحداث هذه المعركة في فرنسا بين مدينتي تور وبواتيه واستمرت المعركة 10 أيام، من أواخر شعبان حتى أوائل شهر رمضان، وانسحب المسلمون بالليل، ولم تنته المعركة بانتصار أحد الفريقين.

وفي 9 رمضان 212هـ (1 ديسمبر 827م) فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

ومن أعظم المعارك الإسلامية الرمضانية التي تسببت فيها امرأة، صرخت، وقالت: وامعتصماه، فحركت نخوة الخليفة العباسي المعتصم بالله فحرك جيشًا عرمرمًا من قصر الخلافة إلى منطقة عمورية، وحاصر مدينة عمورية، إحدى مدن الدولة البيزنطية استجابة لنداء المرأة المسلمة التي استغاثت به، إنها معركة فتح عمورية.

حيث اقتحم المعتصم بالله العباسي حصون عمورية في مائة وخمسين ألفًا من جنوده، ليجعل من غزوته غرة في جبين الدهر، والدرة والتاج في تاريخ الإسلام، وتعود أسباب تلك المعركة إلى أنه قد نقل إلى الخليفة أن امرأة مسلمة من العفيفات قد وقعت في يد جند من جنود الروم، فلما هم بسبيها نادت: وامعتصماه.. وامعتصماه.. فهز النداء نخوته، وأثار رجولته، وقال: لبيك.. لبيك.. فنهض المعتصم، ولبس لامته وتقلد سلاحه، وركب حصانه، وصاح بالنفير وهو على أبواب قصره، وأقسم ألا يعود إليه إلا شهيداً محمولاً على الأعناق، أو ظافراً منتقماً للمدينة الغالية المنكوبة، والمرأة المسلمة المغصوبة، وفي أرض المعركة قاتل الجيش المسلم الروم، ولم تغب شمس يوم 17 رمضان 223هـ (12 أغسطس 838م) إلا والمدينة العريقة العتيدة بأيدي المسلمين، وشوهد المعتصم بن هارون الرشيد يدخلها على صهوة جواده الأصهب، وقد نكس رأسه خضوعاً لله وشكراً على نعمائه، فأين من يسمع صرخة امرأة وأين من يسمع صرخات الأطفال والعجائز.

وفي 10 رمضان 648هـ (6 ديسمبر 1250م)، انتصرت شجرة الدر زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، على لويس التاسع قائد الحملة الصليبية التاسعة، في معركة المنصورة، حيث أسر لويس نفسه وقتل عدد كبير من جنوده.

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، المعركة التي قامت أمة الإسلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في 25 رمضان 658هـ (3 سبتمبر 1260م) واحدة من أكثر المعارك حسمًا في

التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

فقد ظهر جنكيز خان في شمال الصين ومن وراءه جاء هولاكو يقود جيوشًا جرارة من المغول التي تقدمت في البلاد تقتل وتخرب وتدمر كل شيء الأخضر واليابس دمرت الحضارة ودور العبادة، وأصبحت خطرا على البشرية جمعاء، واندفعت هذه الجيوش الهمجية عبر إيران إلى العراق وجاءت بغداد فهدمت القصور وسفكت الدماء وأحرقت الكتب، ودمرت كل شيء، وبدأت مدن الشام تتساقط في أيديهم حتى وصلوا إلى غزة وزاد غرور المغول وتوحشهم، ولكن الله جند من يتصدى لهم، وهو سيف الدين قطز، فعندما جاءت رسل التتار، وكانوا خمسة عشر رسولا، وسلموه إنذار الحرب، كان جوابه أن أمر بقتلهم، وتعليق رؤوسهم على أبواب القاهرة، وبدأ بتجهيز جيش قوي من كل المصريين: مسلمين وأقباط، بدأه بالدعوة لإصلاح الدين والاتجاه إلى الله، ورد الحقوق، ونشر العدل، ورفع الظلم، وتقديم النفس والنفيس في سبيل الله، ودعا المسلمين أن يتحدوا ويتجهزوا معه في جيش واحد لقتال جحافل التتار وتخليص بلاد المسلمين.

وزحف جيش المسلمين إلى عين جالوت في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقاد المظفر «سيف الدين قطز» المسلمين، والمغول بقيادة «كتبغا»، ووجه الجيش الإسلامي هجومًا قويًا شديدًا على جموع التتار، وتم سحقهم وسط نداءات القائد والمسلمين: وإسلاماه... وإسلاماه... فألهب ذلك الصوت الصادق لهيب الإيمان في قلب المسلمين، فهب على الجيش الظالم الطاغي، فقطع رقابهم، وكسر شوكتهم، وعلت راية الإسلام، وانتهى اليوم الخالد بانتصار المسلمين نصرًا هائلا أوقف زحف المغول الهمجي، وبذلك تم إنقاذ البشرية من هذه الشعوب البربرية، المتوحشة سفاكة الدماء، بعدما لم يكن يظن أحد في تلك الأيام أنه ستقوم للإسلام قائمة، فقد رثا الشعراء والأدباء

والخطباء الإسلام والمسلمين، ولم يدر في خلد أحد أن عبدًا مملوكًا سيعيد للإسلام والمسلمين هيبتهم، ومجدهم الغابر.

وفي 4 رمضان 927هـ (8 أغسطس سنة 1521م)، فتح السلطان العثماني مدينة بلجراد، التي تعد مفتاح أوروبا الوسطى، وعقبة في طريق التقدم العثماني إلى قلب أوروبا: فيينا وبودابست والقسطنطينية، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصرها العثمانيون ثلاث مرات: 1441 و1456 و1492م، ولم يتمكنوا من فتحها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني، وبعدها تدفق العثمانيون إلى أوروبا كالسيل الجارف.

وفي 27 رمضان 1093هـ (29 سبتمبر 1682م)، فتح المسلمون بقيادة القائد العثماني «أوزون إبراهيم باشا» قلعة فولك الحصينة في سلوفاكيا، إضافة على 28 قلعة أخرى واستطاع هذا القائد تحقيق السيطرة الكاملة على سلوفاكيا.

وحرب رمضان 1393هـ، وفيها تمكنت القوات العربية المسلمة من الانتصار على القوات الصهيونية الغاصبة، وعبر الجيش المصري قناة السويس وحطم أسطورة "الجيش اليهودي" الذي زعموا وقتها أنه لا يقهر، وحطَّموا خط بارليف الذي أقامه الصهاينة بجوار قناة السويس ليكون حاميا لوجودهم في المنطقة. ومن الملاحظ أن المسلمين خاضوا هذه المعارك وغيرها في شهر رمضان وسجلوا فيها الانتصارات العظيمة وأعدادهم أقل من الأعداء بكثير، لكنَّهم كانوا يملكون قوةً لا تعرفها أعتى الجيوش في العالم، إنَّها القوة الروحية التي استمدوها من العقيدة الإسلامية، ومن انقيادهم وطاعتهم لله تعالى، والقيامَ بدين الله قولاً واعتقادًا، وعملاً ودعوة؟ قال تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) الحج: 40-41.

هذه الانتصارات رفعت من قدر الأمة الإسلامية على بقية الشعوب، ومكن الله لها في الأرض، وما ذلك إلا لتوحدهم، وجلوسهم تحت مظلة واحدة، وخلافة واحدة، فامتدت تلك الانتصارات منذ بزوغ نور النبوة بإنزال الله تعالى على رسوله القرآن الكريم في غار حراء يوم 17 رمضان، عندما بلغ النبي ص أربعين عامًا، ومرورًا بعهد الدعوة السرية والهجرة، والخلافة الراشدة إلى نهاية خلافة الدولة العثمانية، التي انهارت بسبب اتحاد القوى الأوروبية ضدها.

وإن من ينظر إلى هذه الانتصارات سيتعجب كيف استطاع هؤلاء القيام بمثل هذه الانتصارات، وفي وقت صيام، وقد تكون في أيام صيف حار، فليس بعجيب، وليس ذلك بغريب من أناس جعلوا الإسلام همهم، وقدموا إعلاء رايته على كل شيء، فهو شهر عظيم جعله الله شهر انتصارات وعزة للإسلام والمسلمين.

وها نحن اليوم كما أخبر النبي ص، أصابنا الوهن وتكالب علينا الأعداء وصرنا نذكر تاريخًا كان بالأمس دون أن نستفيد منه في حياتنا، وما ذلك إلا لبعدنا عن الحق وعما يدعو إليه الدين من العلم والعمل. نسأل الله تعالى أن ينصرنا على أعدائنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

الحلقة الثانية عشرة: شهر رمضان يعزز الأخلاق الحميدة

شهر رمضان اختص وميز عن غيره من الشهور بأنَّه شهر كامل تتصرف فيه العبادات العظيمة إلى الله عز وجل، فهو مخصوص بفريضة الصيام، وهو شهر تربى فيه الأمة على الأخلاق الفاضلة، وعلى التعلق بالله عز وجل تعلقاً عظيماً. لا شك أن المسلم مطالب بأن يكون حسن الخلق في كل وقت وحين، وهذا أمر معلوم ولا شك، لكننا في رمضان مدعوون إلى مزيد من تهذيب النفس إلى جوار الأعمال الفاضلة الأخرى.. فإذا كان الشخص مقصراً في قيام الليل، فإن رمضان يعلمه القيام حين يكون الأمر مع عامة المسلمين، والشياطين مصفدة لينطلق بعد رمضان وقد اعتاد تلك العبادة الفاضلة، وهكذا هو الأمر مع الصيام الذي قد يثقل على النفوس الصبر على مشقته،

لكن حين يكون الأمر فريضة فإن النفوس تلبي أمر الله في الصيام، وعلى مدى شهر كامل، وهي كفيلة بتعويدهم عليه ليصوموا بعده، وهكذا الأمر أيضاً بالنسبة للأخلاق الفاضلة.. فمن كان عنده قصور من جانب فيها فدونه رمضان، شهر صفدت فيه الشياطين، وأقبلت فيه النفوس على البارئ جل في علاه، فكن واحداً من أصحاب الأخلاق الفاضلة ولو بأَطْر نفسك عليها في رمضان من باب حفظ الصيام، حتى تعتاد عليها، ثم أكمل المسيرة بعد رمضان.

وإن للصيام أثرا عظيما في الإخلاص والصبر، والخوف والرجاء، والبر والصلة، والذكر والدعاء والمراقبة والحياء، والعزة والحلم، والتوبة والاستغفار والحُرية وتهذيب الغرائز، والدعوة والتربية، والجهاد والجود ونحوها من الفضائل ومكارم الأخلاق.

والمسلم الحق أيضا هو الذي لا يتأثر أثناء الصوم بانقطاعه عن الأكل والشرب والشهوات الأخرى، فلا تضعف همته ولا تخفت عزيمته، فتراه هادئ النفس مطمئن البال، متحكما في أعصابه، كاتما لغضبه، كاظما لغيظه، فلا يصرخ في وجوه الناس ولا يخاصمهم، ولا يرفع صوته في وجوههم ولا يتوعدهم بغض النظر عن الأسباب والظروف، تماشيا مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ). ومن خلال هذه السلوكيات وغيرها، يمكن اعتبار شهر رمضان بمثابة ورشة تدريب في الأخلاق الحميدة والسلوكيات الراقية، إذا استغلها المسلم كما يجب، استقامت شخصيته وانسجمت مع ذاتها ودينها ومحيطها في وحدة متآلفة، لا مكان للتصنع والرياء فيها. ليشكل المسلم بذلك، نموذجا يحتذى به في التوفيق بين العبادة والسلوك في رمضان وفي غير رمضان، وبذلك يصلح صومه، ويَثْبُت أجره ويعكسَ الصورة الحقيقية للدين الإسلامي الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد أحاديثه عندما سئل ما الدين؟ فأجاب: (الدين المعاملة).

إن الأخلاق الحسنة امتثال لأمر الله ورسوله: فقد تضافرت النصوص من كتاب الله عز وجل على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونصت على الكثير منها، فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ

وَالْبَغْيِ) النحل: 90. وقوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف: 199. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) الحجرات: 6.

وكذلك نهت عن الأخلاق المذمومة ومن ذلك: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) الحجرات: 11-12.

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتثل أمر الله تعالى في كلِّ شأنه، قولًا وعملًا، ويأتمر بكلِّ أخلاق حسنة ورد الأمر بها في القرآن الكريم، وينتهي عن كلِّ أخلاق سيئة ورد النهي عنها في القرآن؛ لذا كان خلقه القرآن. وأيضًا فإن الالتزام بالأخلاق الحسنة امتثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فهو الذي يأمر بها ويحض عليها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن).

الأخلاق الحسنة أحد مقومات شخصية المسلم: فالإنسان جسد وروح، ظاهر وباطن، والأخلاق الإسلامية تمثل صورة الإنسان الباطنة، والتي محلُّها القلب، وهذه الصورة الباطنة هي قوام شخصية الإنسان المسلم، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات: 13، ويقول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). ويقول صلى الله عليه وسلم أيضًا: (لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهونَ على الله من الجُعَل...)

الارتباط الوثيق بين الأخلاق والدين الإسلامي عقيدة وشريعة: إن ارتباط الأخلاق بالعقيدة وثيق جدًّا، لذا فكثيرًا ما يربط الله عز وجل بين الإيمان والعمل الصالح، الذي تعدُّ الأخلاق الحسنة أحد أركانه، فالعقيدة دون خُلُق، شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، أما عن ارتباط الأخلاق بالشريعة، فإن الشريعة منها عبادات، ومنها معاملات، والعبادات تثمر الأخلاق الحسنة ولا بد، إذا ما أقامها المسلم على الوجه الأكمل، لذا قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) العنكبوت: 45، وأما صلة الأخلاق بالمعاملات، فإنَّ المعاملات كلَّها قائمة على الأخلاق الحسنة في أقوال المسلم وأفعاله، والمتأمل لتعاليم الإسلام يرى هذا واضحا جليًّا.

رابعًا: آثارها في سلوك الفرد والمجتمع: تظهر أهمية الأخلاقية الإسلامية لما لها من أثر في سلوك الفرد، وفي سلوك المجتمع.

1- أما أثرها في سلوك الفرد فلما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع.. وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، يقول تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس: 9-10، ويقول سبحانه: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) الأعلى: 14-15، والتزكية في مدلولها ومعناها: تعني: تهذيب النفس باطنًا وظاهرًا، في حركاته وسكناته.

2- وأما أثرها في سلوك المجتمع كلِّه، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) العصر: 1-3.

فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامنًا في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلميَّة، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها.

إنَّ الأخْلاقَ التي تنمِّيها العباداتُ ومنها: عبادة الصيام في النفْس ليس المقصود منها أن تكونَ أخلاقًا أنانيَّة ذاتيَّة للشخص نفْسِه فحسب، ولكنَّ المقصودَ منها أن تكونَ أخلاقًا اجتماعيَّة يتعامل بها مع الناس؛ لهذا كانَ المقصودُ من العبادات والغاية منها هو تربية الأخْلاق في النفْسِ وتنْميتها؛ لكي تَحْسُنَ المعامَلات والعقود التي تجري مع الناس تبعًا لسنَّة الحياة وناموس الطبيعة الإنسانيَّة الاجتماعيَّة.

خامسًا: مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية: إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا احتمالًا أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى؛ فإنَّه لابد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقادير. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار. من الممكن أن تتخيل مجتمعًا من المجتمعات انعدمت فيه مكارم الأخلاق كيف يكون هذا المجتمع؟!

سادسًا: أهميَّة الأخلاق في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ: الذي يظنُّ أنَّ الناس يدخلون في الدين فقط؛ لأنهم يقتنعون عقليًّا فقط، لا شك أنه مخطئ... وكثير من الناس يدخلون في الدين؛ لأنهم يرون أنَّ أهل هذا الدين على خلق، وأن الدعاة إلى الله عندهم أخلاق، والشواهد في هذا الباب كثيرة... فالاستقامة على الأخلاق لها أثر كبير، ونفعها بليغ، ولا أدلَّ على ذلك مما جاء في السيرة النبوية من أنَّ أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم كانت محل إعجاب المشركين قبل البعثة، حتى شهدوا له بالصدق والأمانة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزلت هذه الآية: **(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

وقد بدأ انعكاس الصور السلوكية الرائعة في تأثيرها في انتشار هذا الدين في بعض المناطق التي لم يصلها الفتح؛ إذ دخل في هذا الدين الحنيف شعوب بكاملها لما رأوا القدوة الحسنة مرتسمة خلقًا حميدًا في أشخاص مسلمين صالحين، مارسوا سلوكهم الرشيد، فكانوا كحامل مصباح ينير طريقه لنفسه بمصباحه، فيرى الآخرون ذلك النور ويرون به، وليس أجمل منه في قلب الظلام، وبناء على ذلك الإقبال سريعًا دون دافع سوى القدوة الحسنة، فَرُبَّ صفة واحدة مما يأمر بها الدين تترجم حية على يد مسلم صالح يكون لها أثر لا يمكن مقارنته بنتائج الوعظ المباشر؛ لأن النفوس قد تنفر من الكلام الذي تتصور أنَّ للناطق به مصلحة، وأحسن من تلك الصفات التمسك بالأخلاق الحميدة التي هي أول ما يرى من الإنسان المسلم، ومن خلالها يحكم له أو عليه.

فضائل الأخلاق الحسنة:

1- الأخلاق الحسنة من أسباب دخول الجنة: قال صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه). عن أبي هريرة رضي الله عنه: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الفم والفرج).

2- الأخلاق الحسنة سبب في محبة الله لعبده: وقد ذكر الله تعالى محبته لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والتي منها الصبر والإحسان والعدل وغير ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا).

3- الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم: قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا) .

4- مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق).

5- الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار).

6- الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد: قال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذرٍّ، ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفس محمد بيده، ما عمل الخلائق بمثلهما).

7- الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتُعَمِّر الديار: قال صلى الله عليه وسلم: (حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار).

8- الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم). وفي حديث عمرو بن عبسة أنَّه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإيمان أفضل؟ قال: (حسن الخلق).

الحلقة الثالثة عشرة: رمضان والغيْرَة على المحارم

معنى الغَيْرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه. وقال الراغب الأصفهاني: (جعل اللَّه سبحانه هذه القوة في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، ولذلك قيل: كلُّ أمة وضعت الغَيْرة في رجالها وضعت العفة في نسائها، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته. والغَيْرة ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى في النساء). وقال ابن القيم: (إن أصل الدين الغَيْرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغَيْرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلًا، ولم يجد دافعًا، فتمكَّن، فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس(أي قرون البقر) التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه).

الترغيب في الغيرة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه). (معناه: أن الله يغار إذا انتهكت

محارمه، وليس انتهاك المحارم هو غيرة الله؛ لأنَّ انتهاك المحارم فعل العبد، ووقوع ذلك من المؤمن أعظم من وقوعه من غيره. وغيرة الله تعالى من جنس صفاته التي يختص بها، فهي ليست مماثلة لغيرة المخلوق، بل هي صفة تليق بعظمته، مثل الغضب، والرضا، ونحو ذلك من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها).

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن يغار، والله أشد غيرًا).

– وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الغَيْرة ما يحب الله عز وجل، ومنها ما يبغض الله عز وجل، ومن الخيلاء ما يحب الله عز وجل، ومنها ما يبغض الله عز وجل، فأما الغَيْرة التي يحب الله عز وجل فالغَيْرة في الريبة. وأما الغَيْرة التي يبغض الله عز وجل فالغَيْرة في غير ريبة، والاختيال الذي يحب الله عز وجل اختيال الرجل بنفسه عند القتال، وعند الصدقة. والاختيال الذي يبغض الله عزَّ وجلَّ الخيلاء في الباطل). قال الشوكاني: (فالغَيْرة في الريبة: نحو أن يغتار الرجل على محارمه إذا رأى منهم فعلًا محرمًا؛ فإن الغَيْرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله... والغَيْرة في غير ريبة: نحو أن يغتار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه؛ فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأنَّ ما أحلَّه الله تعالى فالواجب علينا الرضى به؛ فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا).

من صور الغيرة:

1– الغَيْرة لله سبحانه وتعالى: ومن صور هذه الغَيْرة:

أ– الغيرة لدين الله تعالى: فالمسلم يغار أن تؤتى المعاصي، أو أن تنتهك المحارم، ومن الغيرة لدين الله القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

ب– الفرح بزوال الظلم والظلمة: إن المسلم الغيور ليفرح إذا أزيل منكر، وقمعت فاحشة، وأخمدت فتنة، كيف لا، وربنا يقول: **(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا**

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُون) النور: 19. (بل إن الفرح بما يصيب الناس من البلاء، وإن كان مذمومًا؛ فإنه حين يكون لإصابة مفسد، أو ظالم ببلاء يمنعه من فساده وظلمه، ويجعله لغيره من الظلمة عبرة، فلا يكون مذمومًا، بل غيرة في الدين، والغَيْرة من الإيمان، ففرحه حينئذ بزوال الفساد والظلم، لا بإصابة البلاء والمصيبة، كما ذكره بعض العلماء). وكيف لا يفرح المسلم إذا رأى الظلمة والمستبدين يزولون ويتساقطون كأوراق الخريف!!.

2- الغيرة للرسول صلى الله عليه وسلم: يجب على كلِّ مسلم أن يغار لرسوله الكريم إذا أُسيء إليه، فيدافع عنه، ويذبُّ عن عرضه، وينصره بما يستطيع.

3- غيرة الرجل على أهله: قال النووي: (والرجل غيور على أهله أي: يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر، أو حديث، أو غيره). وقال ابن القيم: (وأما الغَيْرة على المحبوب فهي: أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره).

أقسام الناس في الغَيْرة على محارم الله: عدَّ ابن تيمية أقسام الناس في الغَيْرة على محارم الله بعد أن بيَّن الغَيْرة التي يحبها الله، والغَيْرة التي يبغضها الله فقال: (وهنا انقسم بنو آدم أربعة أقسام:-

1- قوم لا يغارون على حرمات الله بحال، ولا على حرمها مثل: الديُّوث والقوَّاد وغير ذلك، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحقِّ، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا **(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)** [الأعراف: 28].

2- وقوم يغارون على ما حرَّمه الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحبِّ والكره، يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا، ويجعلون الحسد والصدَّ عن سبيل الله، وبغض ما أحبه الله ورسوله غَيرة.

3- وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات، كما قال تعالى فيهم: **(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)** مريم: 59.

4- قوم يغارون مما يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان.

فوائد الغَيْرة:

1- الغَيْرة دليل على قوة الإيمان بالله.

2- خصلة يحبها الله سبحانه وتعالى.

3- هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط.

4- الغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة.

5)[2]- هي من الأسباب الدافعة لإنكار المنكر.

6- تطهر المجتمع من الرذائل.

7- الغَيْرة سبب لصون الأعراض.

أسباب ضعف الغَيْرة:

لضعف الغيرة أسباب عديدة، نقتصر على ذكر بعضها فيما يلي:-

1- ضعف الإيمان: يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن الغيرة لا تكون إلا من مؤمن بقوله: (إن الله يغار وإن المؤمن يغار)[.] فحياة القلب بالإيمان تجعل الإنسان غيورًا، وبقدر إيمانه تكون غيرته، وإذا ضعف الإيمان ضعفت الغيرة.

2- كثرة الذنوب: قال ابن القيم: (ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغَيْرة، التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغَيْرة حرارته وناره التي تُخرج ما فيه من الخبث، والصفات المذمومة).

3- الجهل: فمن أسباب ضعف الغيرة الجهل بأهمية الغيرة، وخطورة غيابها، فضدُّ الغيرة الدياثة، وضد الغيور الديوث، كذلك الجهل بعظم المسؤولية تجاه الأهل؛ فالرجل محاسب ومسؤول يوم القيامة عن رعيته ومن تحت رعايته.

4- التقليد للكفار والمفسدين: الغيرة من الأخلاق الفاضلة التي يراد لها أن تقلع من بلاد المسلمين، بفعل دعاة تقليد الغرب الذين انعدمت لديهم الغيرة؛ لذا يريدون إماتة

خلق الغَيْرة في نفوس المسلمين، وقد حذَّر الإسلام من تقليد الكفار والتشبه بهم، قال صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم). [3)]

5- وسائل الإعلام الفاسدة: إن لوسائل الإعلام دورًا كبيرًا في إفساد الناس: كالإذاعة، والتلفاز، والصحف، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، فالكثير من هذه الوسائل مليء بالأغاني الفاحشة، والصور الخليعة، والمسلسلات الماجنة التي اعتاد الناس مشاهدتها، وغرس قيم وأخلاق لا تمت للإسلام ولا للمسلمين بصلة، فأخذ خلق الغَيْرة يضعف شيئًا فشيئًا.

6- انتشار المنكرات: إنَّ انتشار المنكرات في المجتمعات الإسلامية بلا نكير ولا تغيير يجعلها مألوفة لدى الناس، فتضعف الغيرة في القلوب، يقول ابن القيم في أثر المعاصي في الإنسان: و(كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره).

الوسائل المعينة على اكتساب الغَيْرة:

يمكن أن تنمَّى الغَيْرة بأمور كثيرة ومنها:-

1- تربية الأولاد على الغَيْرة، وغرس هذا الخلق في نفوسهم.

2- الابتعاد عن أسباب ضعف الغيرة، كالقنوات الفضائية الماجنة، والمجلات الهابطة، وغيرها من وسائل الهدم.

3- الرجوع إلى قيم الدين وغرسها في نفوس الناس.

4- التأكيد على دور الرجل.

5- توعية المجتمع توعية شاملة بجميع وسائل الإعلام، والخطب والمحاضرات.

6- تعظيم قدر الأعراض، وبيان خطورة ضياعها.

نماذج من غيرة الأنبياء عليهم السلام

1- **غيرة النبي صلى الله عليه وسلم:** غيرته على حرمات الله: النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس غيرة لله، فكان يغضب إذا انتهكت حرمات الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتى إليه، حتى ينتهك من حرمات الله، فينتقم لله) والنماذج والصور على غيرته على محارم الله كثيرة جدًّا. منها:

- غيرته على نسائه: كان أعدل البشر غيرة على نسائه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد، فاشتدَّ ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنَّه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: انظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنما الرضاعة من المجاعة).
- وعن أم سلمة رضي الله عنها: (أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها، وفي البيت مخنث، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله لكم الطائف غدًا، أدلك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخلنَّ هذا عليكنَّ).

2- **غيرة داود عليه السلام:** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب؛ فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع. قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار؛ فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بداود. فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني شيء، فقال داود: أنت والله ملك الموت فمرحبًا بأمر الله، فرمل داود مكانه؛ حيث قبضت روحه، حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلَّت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا، قال أبو هريرة: يرينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم، وغلبت عليه يومئذ الُمضرحية) والمضرحية هي النسور الحمر.

3- **غيرة موسى عليه السلام:** قال الله تعالى: **(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)** طه: 9-10. قال ابن عباس وغيره: (هذا حين قضى الأجل وسار بأهله، وهو مقبل من مديَن يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى عليه السلام رجلًا غيورًا: يصحب الناس بالليل، ويفارقهم بالنهار غيرةً منه، لئلاَّ يرَوا امرأته، فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله تعالى، وكانت ليلة مظلمة).

الحلقة الرابعة عشرة: رمضان شهر العزة والتمكين

إن الصيام مصدر قوة روحية تدفع الى العمل واعتقاد المؤمن أنه يؤدي عبادة فرضها الخالق مما يمده بالروح الفَتِيّ والعزم القوى؛ لذلك كانت شهور رمضان أيام نصر حربي، وفوز نضالى، ففي مواسم هذا الشهر الكريم تحققت انتصارات اسلامية رائعة تبتدئ بمعركة بدر، مرورا بمعارك كثيرة أشهرها: فتح مكة، والأندلس، وحطين، وعين جالوت. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة".

لقد ربطت سورة البقرة بين فريضة الصيام وأمر الله المسلمين بقتال المعتدين ومجاهدة الظالمين، **وهنا تجتمع لدى المجاهد الصائم مجاهدةُ النفس ومجاهدةُ الأعداء؛ فإنِ انتصر تحقَّق له انتصاران: الانتصار على هوى النفس، والانتصار على أعداء الله** تعالى، والإعداد للجهاد يسبقه إعداد للنفس، وإعداد للجسد، بل وإعداد للأمة كلها، إن العلاقة بين الصيام والجهاد وثيقة جدًّا؛ فالتاريخ الإسلامي يؤكد هذا الارتباط، **نعم إن** رمضان شهرُ الفتوحاتِ

الإسلاميَّة، شهر لقوَّة الإيمانِ وعزة المسلمين، وشهر للقوة والنشاط، وليس للتكاسل والخمول، ومن أشهر المعارك والفتوح الرمضانية ما يلي:-

-غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة:

في رمضان من السنة الثانية للهجرة خرج المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعترضوا قافلة لقريش يقودها أبو سفيان، ولكن أبا سفيان غَيّرَ طريقه إلى الساحل واستنفر أهل مكة، فخرجوا لمحاربة المسلمين والتقى الجمعان في بدر في **السابع عشر من رمضان سنة اثنتين للهجرة** ، ونصر الله رسوله والمؤمنين رغم قلة عددهم وعدتهم فقد كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر وكان المشركون أكثر من ألف وأثمرت نتائج النصر ثماراً كثيرة، فقد ارتفعت معنويات المسلمين وعلت مكانتهم عند القبائل التي لم تسلم بعد، واهتزت قريش في أعماقها وخسرت كبار صناديدها وأعمدة الكفر فيها، وأخذت تعد للثأر والانتقام. وخلال سنة تحققت للمسلمين في المدينة عوامل أمن خارجية وداخلية فقبائل غطفان وسليم التي كانت تعد لمهاجمة المسلمين بلغها انتصار المسلمين في بدر وتحركهم بعد ذلك لضربها، فخافت وتركت ديارها وخلفت غنائم كثيرة للمسلمين، كما أُجْلِيَ بنو قينقاع إحدى قبائل اليهود لكيدهم بالمسلمين وعدوانيتهم.

كانت تلك الغزوة فرقانا بين الحق والباطل، تلك الغزوة التي جعلت للمسلمين كيانا مهابا وجانبا مصونا . وبعد هذه الغزوة أصبح للمسلمين كيان ماثل لأعين الكفار يحسبون له ألف حساب ولا يجرؤون على تجاهله، بعد أن كانوا مستضعفين لا يكترث بهم بل ويستهان بهم ، أصبحوا بعدها قوة ضاربة

يهابها الكفار، فكانت تلك الحادثة عرساً حقيقياً في رمضان وفرحاً صادقاً للمسلمين في شهر الفرقان.

لقد وُضِعَتْ قواعد بناء الأمة الإسلامية في غزوة بدر: ففيها عرف المسلمون أن النصر من عند الله وليس بالعدد ولا العدة، فلا يصلح لأمة بعيدة عن ربها، وبعيدة عن دينها أن تنتصر؛ واقرأوا سورة الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر : (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). كيف يمكن لجيش صغير قليل عدده، معه فَرَسَان وسبعون بعيراً، خرج بسلاح المسافر، أن يهزم جيشاً عظيماً معه مائة فارس، وسبعمائة بعير، خرج بسلاح الجيوش؟.!!

كيف يمكن لهذا العدد القليل في كل المقاييس المادية أن يغلب هذا العدد الكبير؟

هذا كله لم يكن إلا لأن الله هو الذي نصر المؤمنين، نصر الضعفاء القلَّة الأذلة؛ كما عبَّر سبحانه في كتابه الكريم، انتصروا بالمطر والنعاس، وبالرعب في قلوب الكافرين، وبالتوفيق في الرأي عند المؤمنين، وبضعف الرأي عند الكافرين، ونزلت الملائكة تحارب مع المؤمنين في بدر، وعلى رأسهم أفضلهم وأشرفهم جبريل –عليه السلام: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال 12– 13.

كان هذا يوم أن كان المؤمنون أولياء لله لا أولياء للذين كفروا، عند ذلك كان الله مولاهم وناصرهم وألقى في قلوب أعدائهم الرعب، واسمع كلام الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ).

– **فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة:** في السنة 8هـ فكان الموعد مع حدث من أهم أحداث التاريخ، إنه فتح مكة، اللقاء الأخير والفيصل مع مشركي قريش؛ فقد خرج الرسول وجيش المؤمنين من المدينة المنورة قاصدًا مكة في العاشر من رمضان سنة 8هـ، وفتحها في الحادي والعشرين من رمضان. والموقف في فتح مكة مختلف عن بدر؛ ففي غزوة بدر كان الخروج في رمضان على غير اختيار المؤمنين؛ لأن القافلة المشركة بقيادة أبي سفيان جاءت في ذلك التوقيت فخرجوا لها، لكن الخروج في فتح مكة كان بتخطيط وتدبير من رسول الله ومن المؤمنين، كان من الممكن أن يُؤَخِّروا الخروج ثلاثة أسابيع فقط ليخرجوا في شوال بعد انتهاء رمضان، كان من الممكن أن يقول بعضهم: نستفيد الصيام والقيام وقراءة القرآن، ونُؤَخِّر الجهاد ثلاثة أسابيع فقط.. لكن كل هذا لم يحدث، فرمضان شهر الجهاد، ليس فيه تعطيل للقتال، لا توجد به راحة للمؤمن، لم يؤخر رسول الله الجهاد بل أفطر وجاهد؛ لأن الجهاد متعين الآن، أما الصيام فيمكن قضاؤه بعد ذلك، ولكن الجهاد لا يُؤَخَّر؛ فهو ذروة سنام الإسلام.

ودخل الرسول الكريم وهدم صنم هبل، ومعه أكثر من ثلاثمائة وستين صنمًا بداخل الكعبة المشرفة، وهذه الأصنام ظلت داخل الكعبة سنين طويلة تعبد من دون الله، يختار أن تُدَمَّر وتكسر وتقع في شهر رمضان. إنه شهر إعزاز الإسلام، وتمكين الدين، ونصر المؤمنين، ورفع راية التوحيد، رمضان شهر

النصر والعزة، فلا يصح ألا يعلم شيابنا المسلم هذه المعاني، ويظنون أنه فقط شهر الأعمال الفنية الجديدة، والدورات الرياضية، والمخيمات الرمضانية.

- **فتح (البُوَيْب) في السنة 13 هجرية:** إذ استطاع المسلمون في موقعة البويب بقيادة البطل الإسلامي الفذ المثنى بن الحارثة، وكان عدد المسلمين في هذه الموقعة 8 آلاف فقط، والفرس مائة ألف بقيادة (مهران) وهو من أعظم قُوَّاد الفرس، وتم اللقاء في الأسبوع الأخير من شهر رمضان سنة 13هـ، ودارت موقعة من أشدِّ مواقع المسلمين، أمر فيها المثنى جنوده أن يُفطروا؛ ليتقوَّوا على قتال عدوهم، اقتدى بفعل الرسول في فتح مكة، وثبت المسلمون ثباتًا عجيبًا، وأبلى المثنى وبقية الجيش بلاءً حسنًا، وتنزَّلت رحمات الله وبركاته على الجيش الصابر، فانتصر المسلمون انتصارًا رمضانيًّا هائلاً. حيث قُتل الجيش الفارسي بكامله في هذه الموقعة، تجاوز القتلى تسعين ألف فارسي من أصل مائة ألف، هزيمة مروعة للجيش الفارسي بعد شهر واحد من هزيمة المسلمين في موقعة الجسر. ولنفكر ونتدبَّر كيف لثمانية آلاف أن يهزموا أكثر من تسعين ألفًا، وفي عُدة أضعف من عدتهم، وفي عقر دارهم، كيف يحدث هذا؟ لن تعرف تفسيرها أبدًا إلاَّ أن تقول: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} [الأنفال: 17]. هذا هو التفسير الوحيد لهذه الموقعة، التي لا تُنْسَى في التاريخ الإسلامي.

فتح الأندلس: فتح المسلمون أولى صفحاتهم في سِفْر الأندلس الضخم، في رمضان سنة 91هـ تنزل الفرقة الاستكشافية المسلمة التي أرسلها موسى بن نصير –رحمه الله– بقيادة طريف بن مالك رحمه الله؛ لاستكشاف الأندلس.

– وفي رمضان سنة 92هـ التقي المسلمون وهم اثنا عشر ألف رجل بقيادة طارق بن زياد رحمه الله بمائة ألف إسباني صليبي بقيادة رودريك، وكانت معركة هائلة داخل أرض الإسبان وفي عقر دارهم، والفارق هائل في العدد، ومع ذلك انتصر المسلمون فيها، هذا الانتصار الباهر كان في رمضان سنة 92هـ

– وفي 9 رمضان 212هـ فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

– وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ حدثت الموقعة التي هزَّت الأرض بكاملها موقعة عين جالوت، وفيها كان الانتصار الإسلامي الباهر بقيادة سيف الدين قطز على جحافل التتار، وكانت جيوش التتار تنتصر على جيوش المسلمين انتصارات متتالية بلا هزائم ولسنوات عديدة، مذابح من أبشع مذابح التاريخ، إبادة لكل ما هو حضاري، تدمير لكل شيء في البلاد الإسلامية، من أول يوم دخل فيه التتار في أرض المسلمين سنة 616هـ وإلى سنة 658هـ؛ 42 سنة متصلة وصل المسلمون فيها إلى أدنى درجات الذل والهوان، ثم تغيَّر الوضع، وعادت الكرامة والعزة للمسلمين مرة أخرى في رمضان سنة 658هـ، وليس كأي انتصار؛ لقد فني جيش التتار بكامله.

فتح عمورية : وهي بلدة كبيرة قرب أنقرة في تركيا الآن، وكانت من أفضل بلاد النصرانية، وأشرف عندهم من القسطنطينية، وكان الروم قد هاجموا المسلمين وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، وأسروا الرجال وسبَوا النساء، فصاحت منهم امرأة هاشمية" :وامعتصماه"، فبلغ الخبر الخليفة المعتصم، فأجابها وهو

جالس على عرشه :(لبيك، لبيكِ)، وجهز جيشًا عظيمًا، وخرج إلى الروم، فافتتح عمورية في رمضان سنة 223هـ ثلاث وعشرين ومائتين.

- **موقِعة الزلاقة** : وهي موضِع بالأندلس كانت فيه المعركة المشهورة في رمضان سنة 479 للهجرة بين جيش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي دخل إلى الأندلس من المغرب، وجيش الفرنجة، وكان قائد الفرنجة قد كتب كتابًا يتهدَّد فيه المسلمين، فكتب له ابن تاشفين على ظهر كتابه: "الذي يكون ستراه"، وقاد المعركة بنفسِه، وكان يوسف بن تاشفين في الرابعة والثمانين من عمره، وكتب الله فيها النصر للمسلمين.

وفي رمضان سنة 31 هجرية كان فتح بلاد النوبة .

وفي رمضان سنة 114 هجرية كانت بلاط الشهداء.

وفي رمضان سنة 702 هجرية كان فتح شقحب.

وفي رمضان سنة 829 هجرية كان فتح قبرص في عهد المماليك.

وبهذا نعلم مدى أهمية وارتباط شهر الصيام بالجهاد في سبيل الله، كيف لا ورمضان جهاد للنفس والروح والبدن، والجهاد في سبيل الله أيضا جهاد للنفس والروح والبدن والمال، فإذا ارتبطا ببعض كان ذلك أقوى للمؤمن وأكثر رفعا لمعنوياته وأشد تثبيتا سيما أن الوجهة واحدة وهي ابتغاء رضوان الله تعالى .

الحلقة الخامسة عشرة: رمضان شهر التوبة والغفران

التوبة وما أدراك ما التوبة؟ ! تلك الرحمة التي امتنَّ الله بها على عبادِه المذنبين، فلا يقنَط المذنب ولا ييأس من رحمة الله التي عمَّتِ السمواتِ والأرض، فقد فَتح بابَ التوبة أمامَ كلِّ عاصٍ ومذنب؛ فقال سبحانه وتعالى:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم) الزمر: 53.

رمضان يُلهم الله فيه النفوس الآثمة والقلوب الهائمة لترجع إلى مولاها، وتصحح المسار، وتصحب الأخيار، وتترك طرق الغاوين الفجّار، وتتطهّر من الأقذار والأكدار، وتتخفّف من الذنوب والأوزار، لتسْلَم من الأخطار يوم العرض على الجبّار، وتدخل جنات تجري من تحتها الأنهار، وتنظر إلى وجه الرحيم الكريم الغفار.

إن الصيام أهم شعيرة سنوية تحل بالمسلمين كمحطة للمراجعة والتوبة والإنابة وطلب الغفران، أراده الله ليكون مناسبة لمراجعة النفس ومواجهتها، وردِّها إلى فطرتها وأصل خِلقتها، والعودة بها إلى رحاب الله، وإلى كنف الله وهداه، مع أهل الله، ولتتذوق حلاوة الإيمان، ولترقى في مدارج الإحسان، ولتُحِس بعزة العبادة ولذتها، بعد مرارة المعصية وذلة الخضوع للهوى وللشيطان، ويكفي من شرف هذا الشهر المبارك وفضله أن من صامه وقامه بإيمان وإحسان وإتقان مُحِيت صفحاته السوداء، وفُتِحت له صحيفة نقية بيضاء، وسَطَع له في الملأ الأعلى نور وأضَاء، يقول المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه) رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة، وقال: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)،

في رمضان ينادي منادي الله بنداء لطيف مُشفِق حانٍ: يا أيتها الأنفس الشاردة، ارجعي إلى ربكِ وعودي إليه، وادخلي في صف عباده الصالحين،

لتدخلي جنته مع الداخلين، ولتنعمي مع الذين أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا .. والله الكريم المنان ذو فضل على المؤمنين بوجه خاص، حيث أمتن عليه برمضان ففيه يُغلِّق أبواب جهنم جميعًا، ويُفتِّح أبواب الجنان جميعًا، ويقيّد الشياطين ويسلسلهم، ويحرك الأنفس للطاعات، ويكلف من ينادي: (يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر) رواه الحاكم وقال: "صحيح الإسناد".

أيها التائبون الجدد: رمضان يأتي وفيه فُرَص الغفران ومواسم الامتنان ومفاتيح أبواب الجنان، وفيه تتطلع النفوس إلى رحمة الله المبسوطة في أوله، وإلى المغفرة الشاملة في وسطه، وإلى العتق من النار المتاح في آخره، فمن أقبل فيه على الطاعات فاز وسَعِد، ومن أعرض عنها غُبِن ونَكِد، وحرم نفسه من نفحات العفو الإلهي المعروضة في شهر المغفرة، قال الرسول ﷺ: (بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يُغفر له) رواه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الدعوات، أي: أبعده الله عن رحمته وفضله، وقال عليه الصلاة والسلام: (رَغِم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له). إنه دعاء من جبريل دعا به على من فرَّط في اغتنام ما يتاح من فرص الخير وما يفتح من أبواب الفضل، وهذا الدعاء أمَّنَ عليه الرسول عليه الصلاة والسلام للزيادة في التأكيد على استجابته وقبوله، ولقد أعذر الله لعبد أدركه رمضانُ فلم يتب، بل بقي كما كان على حاله من الذنوب والآثام، فتبًّا لمن جاءته مواسم الإنابة مفتوحة أبوابها ولم يغتنمها.

رمضان مناسبة يمنحها الكريم لعباده كي يغتنموها لإصلاح ما فسد من تدينهم، وتجديد ما بَلِي من إيمانهم، وتقويم ما اعوَجَّ من سلوكهم، وتطهير ما

ران على قلوبهم، وللإكثار من الصالحات؛ ليكون ذلك رصيدًا يُكمِّل لهم ما يعتري أعمالهم خلال السنة من نقص أو تقصير، فإذا أضاع المسلم هذه الفرص وحُرِم مما يتاح فيها من الخيرات والبركات وأضاع ما يمكن أن يربح فيها من الصفقات فهو محروم مهموم مَغْبون، وأي حرمان بعد هذا؟! وبئس المحروم مَن حُرِم مِن فضل الله الدافق الرائق.

أيها الراغبون في التوبة، ها هو رمضان شهر التوبة قد أقبل، والتوبة افتقار إلى الله وانكسار، واستغفار واعتذار من الذنب والناس هجوع، وتذلل بين يديه وخضوع، وإقلاع عن الذنب ورجوع، وندم على ما فات، وعزم وعهد على الابتعاد عن المعاصي وأسبابها ومقترفيها وأمكنتها فيما هو آت، ورد للمظالم والحقوق المغتصبة بغير حق إلى أصحابها. معاشر المسلمين : كُتِبَ على ابن آدم حظه من المعاصي والذنوب ، مدرك ذلك لا محالة، فمستقل ومستكثر، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ " رواه مسلم.

إن الله التواب الرحيم العفو الحليم جل جلاله وكرُم نواله يفرح بتوبة التائبين أكثر من فرحة الأم بولدها، ويَقبَل رَجعتهم إليهم، ويغفر لهم ولا يبالي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (للَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة)، ومعنى الحديث: أن الله يفرح أكثر من الذي فقدَ بعيره في أرض واسعة خالية، ثم وجده ففرح بذلك كثيرًا، الله الله، ما أوسع رحمة الله! وما أجمل عفو الله! وما أكمل إحسان الله! جل الله، ما أعطف حلم الله!

سبحان من سبقت رحمتُه غضَبه، سبحان من كتب على نفسه الرحمة، وجعلها تسَعُ كل شيء.

رمضان أجمل فُرَصِ التطهير، وأحسن أوقات التنوير، موسم الغفران المرتجى والعطاء والرضا والقربى والزلفى، شهر الصفح الجميل وعفو الجليل، شهر الهبات وإقالة العثرات ومحو السيئات وتكثير الحسنات وعلو الدرجات وانسكاب البركات.

لا بد من التوبة النصوح في كل مجال حتى تصلح الأحوال وتزول المصائب والأزمات والأهوال، وإلا فتوبتنا غير صادقة، وطريقنا خاطئ غير موصل، تحُفُّه المخاطر. وهذه بُشْرى أنَّ الله سيبدِّل سيئاتك حسنات ما دُمْتَ تُبتَ وآمنت وعملتَ عملاً صالحًا، إن هذا الشعور الذي شعرت به حين عُدتَ إلى الله يدلُّ على صدقك وعمق إيمانك وخوفك من الله؛ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) الشورى: 25 – 26.

توبة العبد تمحو ذنوبه:

إن الله سبحانه قد فتح باب التوبة، ويسَّر طُرق الأَوْبَة، ورغَّب فيها، وشوَّق إليها، ووعد من تاب وأناب بقبوله وتبديل سيئاته حسنات، قال تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) طه:82، وقال سبحانه :(مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)، وقال تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) الزمر: 54. ومن تاب إلى الله توبة صادقة فإن الله

قد وعد بأنه يقبل توبته، بل من كرم الله وجوده أنه سيجعل له مكان السيئات حسنات، قال تعالى :﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة الفرقان، وقال تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) .

من لم يتب في رمضان شهر التوبة، فمتى سيتوب: ومن لم يندم في شهر رمضان فمتى سيتوب؟ فشهر رمضان قد غلقت فيه أبواب النيران، وفتحت فيه أبواب الجنان، وصفدت فيه مردة الجان، وكُبِت فيه الشيطان، وها هو باب التوبة قد فتح، فليدخل فيه التائبون، (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)، رمضان شهر تغسل فيه الحوبات، وتنبذ فيه الخطيئات، فلا يخرجن هذا الشهر إلا وقد تبدلت الطباع، وتغيرت الأوضاع، وظهر أثر رمضان على الظاهر والباطن، هكذا نستلهم منه العبر، ونجني الدرر، من شهر البكاء والعبرات، والندم على ما فات، ولا تلتفت أخي الحبيب المسلم إلى الذين يحبونك أن تبقى أبدًا على غير هدى من الله فإن أكلة الربا ممن لم يمن الله عليهم بالتوبة يحبون أن يأكل الناس جميعًا الربا، وإن الزناة يحبون من الناس أن يزنوا جميعًا، فانتبه أن يحجبوك عن التوبة، وانتبه أن يمنعوك عن الخير فإن الله يحب أن تتوب ويحب الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا.

وأعلم أيها المستمع الكريم أنّ هناك فريق من الناس يريدون منّا أن نكون أعوانًا لهم في الشر والصد عن سبيل الله، استمع ماذا يقول الله عز وجل عنهم: (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا).

ألا فليكن رمضان بداية لتوبة حقيقية، وبداية انطلاقة راشدة ورجوع صادق إلى الله، توبة تنقلنا من التيه إلى الرشاد، ومن الذلة إلى العزة، ومن التخلف إلى التقدم، توبة تجعل لنا شأنًا عند الله، وذكرًا في الملكوت الأعلى، وموطئ قدم بين الأمم، **اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، يا عالم الخفيات، يا مجيب الدعوات. اللهم اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين، واحشرنا مع أهلك وخاصتك، يا رب العالمين.**

الحلقة السادسة عشرة: رمضان شهر الصبر

إنَّ ثمرة الصيام الأساسية هي أن يكون حافزاً للصائم على تحقيق تقوى الله تعالى، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. فالصيام مدرسةٌ عظيمة، فيها يكتسب الصائمون أخلاقاً جليلة، ويتخلَّصون من صفاتٍ ذميمة، يتعودون على اجتناب المحرمات، ويقلعون عن مقارفة المنكرات والوقوع في المعاصي والذنوب.

إنَّ عجائب شهر الصوم لا تنقضي، ونفحاته الربانية لا تنتهي، فكل الشهر هبات ونعم، فاللهم وفقنا لمعرفتها والدلالة عليها والتوفيق لها، والموفق من وفقه الله، إن رمضان مدرسة عظيمة لتربية النفوس، وتهذيب القلوب، جاء رمضان لهذه الأمة ليرفع مقدارها بين الأمم، ليجعلها أمة تتعالى على حطام الدنيا، وتتسامى على الخسيس الفاني، أمة مجاهدة، أمة قائدة، أمة ربانية، ولن تكون إلا بشهر الصوم وشهر الصبر، نعم هذا هو سر عزها، وسر قوتها أنها انتصرت على كل شهوات النفس الحسية والمعنوية، ففي هذا الشهر يعيش المسلم وقد منع نفسه عن كل شهوة مباحة وغير مباحة، يعيش فترة يقول لنفسه بكل شجاعة وقوة وصبر، لا يا نفس لن تأكلي لن تشربي لن تنال شهوتك حتى يأذن لي ربي، فعيش في السماء ويتعالى عن أهل الأرض ويحقق ما يصبو إليه (لعلكم تتقون) أعظم صفة يتحلى بها أهل الأرض التي هي صفة من صفات أهل الجنة. ولنا مع شهر الصوم وشهر الصبر وقفات:-

الوقفة الأولى : إن شهر الصوم هو شهر الصبر كما قال تعالى :{يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)، قال أهل العلم: الصبر في الآية: الصوم، وهو خير معين للعبد في هذه الحياة ليتجاوز كل الحواجز النفسية والحسية التي تعوقه عن الله والدار الآخرة التي تعوقه عن معالي الأمور، ليصبح عبداً لله لا عبداً لشهوته وهواه، إن الإخلاد إلى الأرض والانغماس في الملذات هو من أعظم المعوقات عن الوصول إلى أعلى الدرجات وأعلى المقامات في العبادة والبذل والإنفاق والجهاد في سبيل الله وأداء ما أوجب الله وتطهير القلوب وتهذيب السلوك كل هذا طريقه والسر إلى الوصول إليه لن يكون إلا من بوابة الصبر ولا شيء غير الصبر، ومن أعطي الصبر فقد أعطي الخير كله، فهو سر عجيب وأساس رفعة الإنسان وتميزه عن سائر الحيوان، فلا عجب أن يكون أجره كما قال جل وعلا: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، والصبر هو كما قال ابن القيم: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن التشويش. والصبر أيضا هو: ثبات القلب عند موارد الاضطراب.

الوقفة الثانية : إن شهر الصوم كما تقدم هو شهر الصبر، والذي ينقصه هذا السر العجيب أعني الصبر الذي هو دعامة حضارية، وأساس لرقي الفرد والمجتمع فعليه باستغلال هذا الشهر ليتخرج منه وقد نال هذا الوسام وهذا الشرف أعني الصبر، وسد النقص وستر العيب، فالذي يمتثل أوامر الله في أداء الواجبات والتكاليف في هذا الشهر سوف يطعم معنى الصبر، ويسمو بنفسه عن اتباع الهوى والشهوات ويكون أقدر على مواجهة الفتن والمغريات بعد رمضان وفي رمضان فهو شهر جهاد النفس وتربيتها: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا).

الوقفة الثالثة : شهر الصبر فرصة لتحرير الإنسان من العبودية، إن أعظم نعمة على الإنسان أن يكون حراً من كل العبوديات وعبداً للواحد الديان، فأعلى المقامات وأشرف الدرجات وأسمى الأمنيات أن تكون عبداً مخبتاً طائعاً لربك ومولاك وحده لا شريك له، وأعظم الذل والخيبة والخسران أن تكون عبداً لهواك وشهوتك {أفرأيت من اتخذ إلهه

هواه) فيا من كنت تعاقر المعاصي، وترتكب الموبقات، وكنت تتذرع بإغواء الشياطين، وتعتذر بقلة السالك والمعين، أتاك شهر الصبر والصفح شهر العتق من النار، الشياطين مكبلة والنفوس مقبلة والناس كلها من حولك تعينك على الخير، لماذا تتردد، لماذا لا تعلنها صريحة، إني تائب إلى الله أما آن لك أن تغير نفسك، إذا لم تنتصر على هواك وشهوتك في هذا الشهر وتغير واقعك فمتى يكون ذلك، يا عبدالله هذه فرصتك لتكون حراً طليقاً وتعتق نفسك من أسر الشهوات المحرمة ، والعادات المستقذرة وتحيا حياة الطهارة والنقاء، يا من تعاقر المسكرات، وتتعاطى المخدرات، وتشرب الحشيش والدخان، يامن تمارس الزنا واللواط ، يامن أضاعه وقته في اللهو الحرام، جاءك شهر التقوى شهر العتق من النار فلا تحرم نفسك الفرصة فهي أقرب ما تكون للخير والطاعة.

الوقفة الرابعة: إذا كان رمضان هو شهر التقوى والصبر كما تقدم فبالتقوى والصبر نواجه كيد أعداء الله وأعداءنا وما أكثرهم في هذا الزمان لأنه الله تعالى وحده عالم بما يعملونه من الكيد والمكر، فلا يعجزه رده عنكم... قال تعالى: (□□□□□□□□□□□□□□□□)، وقال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿□بر□□بن بى بي تر□□تن تى تي□□□□﴾ آل عمران: ١٢٥

وتجتمع في الصوم أنواع الصبر الثلاثة:

1- الصبر على طاعة الله لأن الإنسان يصبر على هذه الطاعة ويفعلها. إن الصبر على طاعة الله أعظم مجالات الصبر، وهو لذلك أشدها على النفوس، وقد جاءت صيغة الأمر بالصبر على الطاعة مغايرة لغيرها فقال تعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سمياً)، وقال: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)، فاستخدم صيغة الافتعال (فاصطبر) وهو يدل على المبالغة في الفعل، إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وما ذاك إلا لمشقة مجاهدة النفوس على القيام بحق العبودية في كل الأحوال.

واعلم أن الصبر على الطاعة له ثلاث أحوال: -

1- قبل الطاعة: بتصحيح النية والصبر على شوائب الرياء، وعقد العزم على الوفاء ولعل هذا يظهر سر تقديم الصبر على العمل الصالح في قوله: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير).

2- حال الطاعة: بأن لا يغفل عن الله فيها، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابها وسننها، ولعله المراد بقوله تعالى: (نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) صبروا إلى تمام العمل .

3- بعد الفراغ منها فيصبر على عدم افشائها والإعجاب بها، وترك ما يبطلها، قال تعالى: (ولا تبطلوا أعمالكم)، وقال: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى).

ومن أنواع الصبر: الصبر عن معصية الله سبحانه؛ لأن الصائم يتجنب ما يحرم على الصائم، والله أخشى على نفسي وأخشى على كل مسلم أن يموت على معصية، لأن الله يقول: { **وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}. تصور أخي المسلم لا قدر الله لو ختم لك وأنت في المعصية، فما أنت قائل لربك؟ فمثلا وأنت تلعب بالطاولة وفي يدك الزهر، أو تشاهد فيلما إباحياً، وإذا بملك الموت أخذ روحك وأنت في هذه الحالة، أتستوي مع رجل جاءه ملك الموت وأخذ روحه والقرآن الكريم بين يديه؟ هل يستوي هذا مع هذا؟ ما تقول لربك إذا ختم لك على معصية؟ لا تقل: أسلي صيامي، أتسلي الطاعة وهو الصيام بمعصية الله؟ اصبر عن المعصية لأنك لا تدري متى ينتهي أجلك، والله لو أنك تعلم بأنك لن تموت أثناء المعصية فافعل ما تشاء، ولكن لا تدري متى ينتهي الأجل.

3- ومن أنوع الصبر: الصبر على أقدار الله تعالى؛ لأن الصائم يصيبه ألمٌ بالعطش والجوع والكسل وضعف النفس. ومنه الصبر على البلاء: وهذا النوع من الصبر كان أشد على أنبياء الله لما عَانَوْهُ من تعنت أقوامهم وعدم تصديقهم لدعوتهم. حيث وردت آيات عديدة تُبَيِّن هذه المعاناة. قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ). وكان صلى الله عليه وسلم قد لاقى من قومه البأس الشديد مما جعل مَلَك الجبال يخبره أن الله تعالى أمره أن يأتمر بأمر رسوله وأن

يُطْبق عليهم الأخشبين إن شاء. فكان حِلْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من غضبه، حيث فَضَّلَ الصبر على هذا الأذى وقال: (بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا). ثم بين له سبحانه نتيجة هذا الصبر فقال: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى جَاءَهُمْ نَصْرُنَا). ولأن المسلمين الأوائل لاقوا تعنتا وعذابا شديدا من كفار قريش، فكأنهم تَوَعَّدوا بالانتقام لأنفسهم، فأنزل الله تعالى يُرْشِدهم إلى الصواب فقال سبحانه: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)، بل دلَّهم على أحسن من الانتقام فقال عز وجل: (وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَك وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم)، فصاحب هذا الحظ هو الذي يملك من أخلاق التسامح ما يستطيع به فتح القلوب المغلقة، فَتُقبِلُ على دين الله عن طواعية واختيار.

فالصبر ضياء وبه يميز بين ذوي العزائم والهمم العالية وبين غيرهم من الذين يجزعون عند أول مصيبة. إن الصبر هو المعيار الحقيقي لقوة إيمان العبد أو ضعفه قال عنه المولى عز وجل: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَنَقْصٍ مِنَ الاَمْوَالِ والاَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الِّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوآ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). ولذا لابد للمؤمن أن يعلم أن المصيبة تأتي بقدر من الله وعلمِهِ، قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الاَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) (الحديد22). فهو سبحانه القادر على إنفاذها وهو القادر على دفعها. قال صلى الله عليه وسلم: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام ورفعت الصحف". فلهذا كان الصوم من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه جامعٌ بين الأنواع الثلاثة، وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} الزمر: 10. وقال: {ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} النحل:96. وقال: (وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً} الإنسان:12.

قال ابن رجب الحنبلي: وأفضل أنواع الصبر: الصيام، فإنه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة؛ لأنه صبرٌ على طاعة الله عز وجل، وصبرٌ عن معاصي الله؛ لأن العبد يترك شهواته لله ونفسه قد تنازعه إليها؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الله عز وجل يقول: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي)، وفيه أيضاً صبرٌ على الأقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش). وسمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم شهر الصبر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صوم شهر الصبر، وثلاثة أيامٍ من كل شهر، يذهبن وَحَرَ الصدر).

قال السيوطي: (شهر الصبر هو شهر رمضان، وأصل الصبر: الحبس، فسمي الصوم صبراً؛ لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه، فيشفعان) والمراد بقوله: (فيشفعان): أي يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة.

فإن قيل: أي أنواع الصبر أشق على النفوس؟

فالجواب: هذا يختلف، فبعض الناس يشق عليه القيام بالطاعة وتكون ثقيلة عليه جداً، وبعض الناس بالعكس الطاعة هينة عليه، لكن ترك المعصية صعب، شاق مشقة كبيرة، وبعض الناس يسهل عليه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لكن لا يتحمل الصبر على المصائب والابتلاءات، ويعجز حتى إنه قد تصل به الحال إلى أن يرتد والعياذ بالله . كما قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11]

الحلقة السابعة عشرة: بعض أخطاء الصائمين وطرائف رمضانية

يلاحظ على كثير من المأمومين في صلاة التراويح وغيرها من الصلوات مسابقة الإمام في الركوع والسجود والقيام والقعود والخفض والرفع خداعًا من الشيطان واستخفافًا منهم بالصلاة. وحالات المأموم مع إمامه في صلاة الجماعة أربع حالات واحدة منها مشروعة، وثلاث ممنوعة وهي المسابقة والمخالفة والموافقة. والمشروع في حق المأموم هو المتابعة بأن يأتي بأفعال الصلاة بعد إمامه مباشرة فلا يسبقه بها ولا يوافقه ولا يتخلف عنه، والمسابقة مبطلة للصلاة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار". وذلك لإساءته في صلاته؛ لأنه لا صلاة له. ولو كانت له صلاة لرجي له الثواب ولم يخف عليه العقاب أن يحول الله رأسه رأس حمار.

– يلاحظ أن بعض الناس إذا جاء رمضان تابوا وصلُّوا وصاموا، فإذا انقضى عادوا إلى ترك الصلاة وفعل المعاصي. فهؤلاء بئس القوم؛ لأنهم لا يعرفون الله إلا في رمضان. ألم يعلموا أن رب الشهور واحد، وأن المعاصي حرام في كل وقت، وأن الله مطّلع عليهم في كل زمان ومكان؟! فليتوبوا إلى الله تعالى توبة نصوحًا بترك المعاصي والندم على ما كان منها والعزم على عدم العودة إليها في المستقبل؛ حتى تقبل توبتهم وتغفر ذنوبهم وتمحى سيئاتهم.

– اعتقاد البعض من الناس أن شهر رمضان فرصة للنوم والكسل في النهار والسهر في الليل، وفي الغالب يكون هذا السهر على ما يغضب الله عز وجل من اللهو واللعب والغفلة والقيل والقال والغيبة والنميمة، وهذا فيه خطر عظيم وخسارة جسيمة عليهم. وهذه الأيام المعدودات شاهدة للطائعين بطاعاتهم، وشاهدة على العاصين والغافلين بمعاصيهم وغفلاتهم.

– يُلاحظ أن بعض الناس يستاء من دخول شهر رمضان ويفرح بخروجه؛ لأنهم يرون فيه حرمانًا لهم من ممارسة شهواتهم فيصومون مجاراة للناس وتقليدًا وتبعية لهم، ويفضّلون عليه غيره من الشهور، مع أنه شهر بركة ومغفرة ورحمة وعتق من النار

للمسلم الذي يؤدي الواجبات ويترك المحرمات، ويمتثل الأوامر ويترك النواهي. 6- أن بعض الناس يسهرون في ليالي رمضان غالبًا فيما لا تُحمد عقباه من الملاهي والملاعب والتجول في الشوارع والجلوس على الأرصفة، ثم يتسحرون بعد نصف الليل وينامون عن أداء صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة، وفي ذلك عدة مخالفات:

أ- السهر فيما لا يجدي، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها إلا في خير، وفي الحديث "لا سمر إلا لمصل أو مسافر".

ب- ضياع أوقاتهم الثمينة في رمضان بدون أن يستفيدوا منها شيئًا، وسوف يتحرز الإنسان على كل وقت يمر به لا يذكر الله فيه.

ج- تقديم السحور قبل وقته المشروع وهو آخر الليل قبيل طلوع الفجر.

د- المصيبة العظمى أن بعض الصائمين ينامون عن أداء صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة التي تعدل قيام الليل أو نصفه، كما في الحديث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله". وبذلك يتّصفون بصفات المنافقين الذين لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ويؤخرونها عن أوقاتها ويتخلفون عن جماعتها، ويحرمون أنفسهم الفضل العظيم والثواب الجسيم المرتب عليها.

- يلاحظ على بعض الأئمة في صلاة التراويح أنهم يسرعون فيها سرعة تُخِلّ بالمقصود من الصلاة، يسرعون في التلاوة للقرآن الكريم والمطلوب فيها الترتيل ولا يطمئنون في ركوعها ولا سجودها، ولا يطمئنون في القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين. وهذا أمر لا يجوز ولا تتم به الصلاة. والواجب الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وفي القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين. وقد قال رسول الله r للذي لم يطمئن في صلاته: "ارجع فصل فإنك لم تصل". وأسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته فلا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها، والصلاة مكيال فمن وفّى وفي له، ومن طفف فويل للمطففين.

– تطويل دعاء القنوت والإتيان فيه بأدعية غير مأثورة؛ مما يسبب السآمة والملل لدى المأمومين.

كان لشهر الصوم مع الناس عبر أيامه المتعاقبات مواقف جادة وأخرى طريفة. وروت لنا أسفار الأدب والتراث العربي الكثير من تلك المفاكهات التي حصلت في رمضان، فاسمه رمضان له رنّة فرح وترنيمة عذبة على شفاه الصائمين، ومن تلكم النوادر والمفاكهات التي جرت وقائعها أيام الصيام مما خلده الأدباء والشعراء في تلك الأيام والعصور السالفة.

– أبو هريرة ورجل أفطر في رمضان: جاء رجل إلى الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه في شهر رمضان فقال له : دخلت داراً فأطعموني ولم أدر؟ فقال له : أطعمك الله وسقاك. أي لا عليه إثم؛ لأنه نسي أنه صائم في رمضان.

– تقضي الشريعة الإسلامية بأنه لا صيام لشهر رمضان حتى تثبت الرؤية، وقد كان الصوم في يوم الشك مثار خلاف بين الفقهاء. ومن طريف ما يروي أن (شريكًا) قاضي المسلمين على عهد الرشيد، كان في مجلس الخليفة في يوم الشك والفقهاء عنده، فلم يزالوا جلوسًا إلى الظهر ينتظرون الأنباء من هنا وهناك، فجاءت الأخبار بأنَّ الهلال لم يره أحد البارحة، وكان بين يدي الخليفة تفاح، فطرح إلى كل من الجالسين تفاحة، فأكلوا إلا القاضي (شريكًا)، فإنه لم يقرب تفاحته. فأراد الفقيه الكبير أبو يوسف أن يوقع بين الخليفة وقاضيه، فقال: انظر يا أمير المؤمنين إلى قاضيك يخالفك؛ إذ إنه أبى أن يأكل ويريد أن يتم صيام اليوم. ووجد القاضي نفسه في مأزق، ولكن بديهته أسعفته بقوله: "لم أخالفك يا أمير المؤمنين، بل هو الذي خالفك... إنما أنت إمام ونحن الرعية لا نفطر حتى تفطر أنت، وليس لنا أن نتقدمك". قال الخليفة: صدقت، ثم أكل وبعده أكل شريك.

– خرج الحجاج ذات يوم قائظٍ، فأُحضر له الغذاء، فقال: اطلبوا من يتغذى معنا. فطلبوا، فلم يجدوا إلاَّ أعرابيًّا، فأتوا به، فدار بين الحجاج والأعرابي هذا الحوار: الحجاج: هلم أيها الأعرابي لنتناول طعام الغذاء. الأعرابي: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته. الحجاج: من هو؟ الأعرابي: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصيام فأنا صائم.

فقال الحجاج: تصومُ في مثل هذا اليوم على حَرِّه. فقال الأعرابي: صمتُ ليوم أشد منه حرًّا. قال الحجاج: أفطر اليوم وصُمْ غدًا. فقال الأعرابي: أوَ يضمن الأمير أن أعيش إلى الغد؟ الحجاج: ليس ذلك إليَّ، فعِلمُ ذلك عند الله. الأعرابي: فكيف تسألني عاجلاً بآجلٍ ليس إليه من سبيل؟! الحجاج: إنه طعام طيب. الأعرابي: والله ما طيَّبه خبّازُك وطباخك، ولكن طيبته العافية. الحجاج: بالله ما رأيت مثل هذا.. جزاك الله خيرًا أيها الأعرابي، وأمر له بجائزة.

– يروى أن صائمًا دخل قرية في رمضان، فرأى كل من فيها يأكلون نهارًا. استغرب الأمر، وقال لهم: أما عندكم رمضان؟! قالوا: بلى، ولكن شيخنا يصوم عنا. فذهب إلى دار الشيخ مستغربًا، ودخل وكان الوقت نهارًا، فرأى أمام الشيخ سفرة طولها كذا ذراعًا، وعليها ما لذَّ وطاب من المآكل، والشيخ يلوك الطعام، فقال: شيخي، علمت أنك تصوم عن أهل البلد؟! فرد الشيخ قائلاً: يا جاهل، من يصوم عن أهل بلد، أَلاَ يتسحر مرة كل نصف ساعة؟.

–جاء رجل إلى القاضي حسين – وهو من فقهاء الشافعية – فقال له الرجل: لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: (إن الليلة بداية رمضان). فقال له القاضي: إن الذي تزعم أنك رأيته في المنام قد رآه الصحابة في اليقظة، وقال لهم: "صوموا لرؤيته."

– رُئِي أعرابي وهو يأكل فاكهة في نهار رمضان، فقيل له: ما هذا؟ فقال الأعرابي على الفور: قرأت في كتاب الله {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} [الأنعام: 141]. والإنسان لا يضمن عمره، وقد خفتُ أن أموت قبل وقت الإفطار، فأكون قد مِتُّ عاصيًا.

– دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع وجه البخيل، وظهر عليه القلق والاضطراب، ووضع في نفسه إن أكل الشاعر من طعامه فإنه سيهجوه غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل، فترفق بحاله، ولم يطعم من طعامه.. ومضى عنه وهو يقول:–

تغير إذ دخلت عليه حتى *** فطنت فقلت في عرض المقال

عليَّ اليوم نذر من صيام *** فأشرق وجهه مثل الهلال

الحلقة الثامنة عشرة: رمضان شهر محبة الله تعالى لعباده الصادقين

إن شهر رمضان الكريم إذا أقبل بخيره وبركته على العباد، كان مِنَ الله على عباده المؤمنين الإعانة والتوفيق لطاعته، وإقامة عبوديته، وظهور آثار محبته في قلوب المؤمنين، لما يظهرنه من الامتثال لأمره واجتناب نهيه، وظهرت في رمضان الكريم على العباد علامات محبتهم لربهم جل وعلا، وزادت هذه المحبة في قلوبهم بزيادة الإيمان، وازدادت الطاعات والعبادات، واجُتنبت السيئات والمنهيات.

إنَّ المحَبَّة لله تعالى هي أساس كل عمل صالح أخلص العبد فيه، كما هي أساس كل عبادة قلبية، وكما أن أسس كل عبادة عملية هو الصدق، فالمحَبَّة أساس لجميع العبادات، يقول ابن القيم: "إن منزلة محبة الله للعبد هي التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عملها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، وهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب

الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل:-

للمحبة أسباب جالبة لها وموجبة لها، ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله، تظهر هذه الأسباب واضحة جلية في رمضان، بل تزيد في هذا الشهر عن غيره من الشهور، لتزداد المحبة لله جل وعلا في شهر المحبة. ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله

1. قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه.
2. التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.
3. دوام ذكر الله على كل حال "فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر".
4. إيثار محاب الله على محاب النفس وغلبات الهوى .
5. مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته .
6. مشاهده بر الله وإحسانه .
7. انكسار القلب بين يدي الله تعالى .
8. الخلوة وقت النزول الإلهي " قيام الليل "
9. مجالسة المحبين الصادقين .
10. مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

ثمرات محبة الله تعالى للعبد:

هناك مجموعة من الثمرات التي تحصل من جراء محبة العبد لربه تعالى، منها:-

- تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد، إنها تفتح للعبد أبواب الأمل في محبة الله ونيل رضاه، ويثبت الإيمان ويزداد، ويعينه على الصبر على الطاعة، والصبر عند البلاء، طمعا في محبة الله لعباده الذين يحبون أن يتطهروا من الذنوب، والله يحب المتطهرين منها بالتوبة:(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة:222.

- ومنها: أن يوضع للعبد القبول في الأرض، فإنَّ العبد إذا أحب الله تعالى استأنس لهذا الرب الرحيم الغفور المحب لعباده الطائعين، وسعى إلى أن يكون ممن يقول الله فيهم:(يا جبريل إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم ينادي

في السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيُحبُّه أهلُ السماء ثم يوضع له القبول في الأرض".

– إن العبد الذي منّ الله عليه بمحبة صادقة أثمرت له المبادرة إلى طاعة الله وحسن عبادته، ووجد من نفسه الاندفاع إلى مرضاته، والتلذذ بطاعته، والراحة فيها، يعبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عند أداء الصلاة جماعة: "أرحنا بها يا بلال".

– أنها تولد شعور قوي لديهم بكراهيتهم الشديدة لفعل المعاصي والذنوب، والابتعاد عما يغضب الله من المنكران والبدع، إذ إنَّ صاحبها يكره أن تدنس تلك العلاقة التي بينه وبين ربه بأي نوع من أنواع الانصراف عنه، والغفلة والتمرد، وإذا ما نفذ فيه ما قُدّر عليه، وسبق في علم الله سبحانه أنه لا بد له من كبوة وهفوة، فتحقق ذلك، ولا محالة يعلم أن ربه الحكيم ابتلاه وامتحنه، فيبادر إلى باب مولاه وهو في حالة ندم وحزن لا يعلم مداهما إلا ربه عز وجل الذي ابتلاه، ليطلب منه في ذل ومسكنة أن يأخذ بيده فينقذه مما هو فيه من عذاب الوحشة من آثار العصيان، فيأتيه إسعافُ حديث: "لله أشد فرحاً بتوبة عبده". ومن ثمرات محبة الله لعبده أن يستجيب دعاءه، ويدلُّ عليه قوله تعالى في الحديث القدسي: "فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني لأعيذنه". ومن ثمرات محب العبد لربه تعالى حفظه من متاع الدنيا، وحال بينه وبين أعراضها وشهواتها، لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج".

– من ثمرات حُبِّ الله للعبد **حسن التدبير للعبد:** من علامات حب الله للعبد حسن التدبير، فيربيه ربه عز وجل من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله فيجتبيه لمحبته ويستخلصه لعبادته، ويشغل لسانه بذكره وجوارحه بخدمته، فيتبع كل ما يقربه، وينفر عن كل ما يبعده عنه، ثمَّ يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هماً واحداً فإذا زاد في المحبة شغله به عن كل شيء، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، ولن تؤمن والله حتى يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما".

– من ثمرات محبة الله أيضا أن يميته الله تعالى على عمل صالح يكون سببا في دخوله الحنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عبداً عسّله، فقيل: وما عسّله؟ قال: يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه – أو قال– من حوله".

– **الحمية عن الدنيا:** قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه". فيحفظه من متاع الدنيا ويحول بينه وبين نعيمها وشهواتها، ويقيه أن يتلوث بزهرتها لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها. فالله عز وجل إنما يحميهم لعاقبة محمودة وأحوال سديدة مسعودة، وقلَّ أن يقع إعطاء الدنيا وتوسعتها إلا استدراجا من الله، لا إكراماً ومحبه لمن أعطاه، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت

الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج". وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدُكم يحمي سقيمه الماء".

- **القبول في الأرض:** المراد به قبول القلوب له بالمحَبَّة والميل إليه والرضا عنه والثناء عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسناً، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئاً وضع الأرض".

- من ثمرات محبة الله **الهداية والتوفيق:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.. الخ". إن الحديث يدل على أن الله تعالى يمدُّ العبد المتقرب إليه بالفرائض والنوافل بنوره الذي يظهر له طرق الهداية وتبعد عنه الغواية. وأن الله يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه من الوقوع فيما يكرهه الرب سبحانه وتعالى.

- **الابتلاء للتمحيص من الذنوب:** إذا أحب الله قوماً ابتلاهم وفرَّغ قلوبهم من الاشتغال بالدنيا غيرةً عليهم أن يقعوا فيما يضرهم به في الآخرة وجميع ما يبتليهم به من ضنك المعيشة وكدر الدنيا وتسليط أهلها ليشهد صدقهم معه في المجاهدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وإنَّ الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط"، والعبد المحبوب من ربه إذا ما ابتلاه أقبل على ربه تعالى بالالتجاء والتضرع والاستغفار والندم والتوبة والإنابة، فيكون البلاء باعثاً للعبد على فعل

الطاعـات والتـذلل لله، حتـى يرفـع الله مـا نـزل بـه مـن الـبلاء. قـال الله تعالى:(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ).

– **إجابة دعاء العبد:** من ثمرات محبة الله لعبده أن يستجيب دعاءه، ويدلُّ عليه قوله تعالى في الحديث القدسي: "فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني لأعيذنه".

الحلقة التاسعة عشرة: رمضان يعزز في نفس المسلم فضيلة الحياء

الصوم سر بين العبد وربه، وفي هذا تربية للمسلم على مراقبة الله ، والحياء منه سبحانه، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصَّوْمُ جُنَّةٌ " مسند أحمد .

فما هو تعريف الحياء: الحياء هو خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويحضّ على ارتكاب الحسن، ومجانبة التقصير فى الحق. وهو حالة تعتري من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياة تغير وانكسار يعرض للإنسان لخوف ما يعاب به أو يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير.

والحياء من جملة الخلق الحسن فإفراده بباب للتنبيه على عظم شأنه، والاعتناء له، لأن به ملاك الأمر، وحسن المعاشرة للخلق، والمعاملة للحق، ومن ثمّ قال صلى الله عليه وسلم: «الحياء خير كله». وقال: «إن لم تستح فاصنع ما شئت»، عن أبى سعيد الخدري قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه».

فَضَائِلُ الحَيَاءِ:

الحَيَاءُ مِفتَاحُ كُلِّ خَيرٍ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ. « وَهُوَ أَصلُ كُلِّ خَيرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الخَيرِ أَجمَعِهِ.

الحَيَاءُ إِيمَانٌ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ". والحَيَاءُ وَالإِيمَانُ مَقرُونَانِ لَا يَفتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا؛ لِاستِوَائِهِمَا فِي الحَثِّ عَلَى كَثِيرٍ مِن أَعمَالِ البِرِّ وَالخَيرِ، وَالزَّجرِ عَن كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيحٍ مِنَ الفُحشِ وَالفَوَاحِشِ، وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَالآثَامِ. فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْمَرْءِ رُفِعَ مِنْهُ الْآخَرُ. وَهَذَا مُشعِرٌ بِعَظَمَةِ الحَيَاءِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ. « وَإِنَّمَا خَصَّهُ هُنَا بِالذِّكْرِ، «لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِثْلَ الإِيْمَانِ مِنَ ارْتِكَابِ مَا لَا يَحِلُّ، وَمَا يُعَدُّ مِنَ الفُحْشِ وَالفَوَاحِش"، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ".

الحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الجَنَّةِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ؛ وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ".

الحَيَاءُ خُلُقُ الإِسلَامِ:

الحَيَاءُ هُوَ مِن أَفضَلِ الأَخلَاقِ وَأَجَلِّهَا، وَأَعظَمِهَا قَدرًا، وَأَكثَرِهَا نَفعًا.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ".

الحَيَاءُ شَرِيعَةُ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَام:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَع مَا شِئْتَ".

أقسام الحياء:

قسَّم ابن القيم رحمه الله فقال: "وقد قُسِّمَ الحياءُ على عشرة: حياءُ جناية، وحياءُ تقصيرٍ، وحياءُ إجلالٍ، وحياءُ كرمٍ، وحياءُ حشمةٍ، وحياءُ استصغارٍ للنفس، واحتقارٍ لها، وحياءُ محبةٍ، وحياءُ عبوديةٍ، وحياءُ شرفٍ وعزٍّ، وحياءُ المستحيي من نفسه.

فأما حياءُ الجناية: فمنه حياءُ آدمَ عليه السلام لما فر هاربًا من الجنة، فقال الله تعالى: "أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب، بل حياءً منك".

وحياءُ الإجلالِ: هو حياءُ المعرفةِ، وعلى حسب معرفة العبدِ بربه يكون حياؤه منه.

وحياءُ الكرمِ: كحياء النبي صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا الجلوس عنده، فقام استحياءً أن يقول لهم: انصرفوا.

وحياءُ الحشمةِ: كحياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المذي لمكانة ابنته منه.

حياءُ الاستحقارِ واستصغارِ النفس: كحياء العبد من ربه عز وجل أن يسأله حوائجه، احتقارًا لنفسه، واستصغارًا لها. وفي أثر إسرائيلي "أن موسى عليه

السلام قال: يا رب، إنه لتعرض لي حاجةٌ من الدنيا فأستحيي أن أسألك هي يا رب". فقال الله تعالى : "سلني حتى ملحَ عجينتك، وعلفَ شاتك".

حياءُ المحبةِ: فهو حياءُ المحبِّ من محبوبه، حتى إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياءُ من قلبه، وأحسَّ به في وجهه، ولا يدري ما سببه. وكذلك يعرضُ للمحب عند ملاقاة محبوبه، ومفاجأته له روعةٌ شديدة.

الحياء من الملائكة: قال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.

وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)، فعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول صَلَّى اللَّه عليْهِ وسَلَّم: إن اللَّه ينهاكم عن التّعري، فاستحيوا من ملائكة اللَّه الّذين معكم؛ الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالاتٍ: الغائط، والجنابة، والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراءِ فليستتر بثوبه أو بِجِذْمِ حائطٍ أو بغيره". قال الحافظ ابن كثير: ومعنى إكرامِهِم أن يستحي منهم، فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها، فإن اللَّه خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم. وقال ابن القيم رحمه الله: "أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟!".

حياءُ العبودية أو الحَيَاءُ مِنَ اللَهِ تَعَالَى: فهو حياءٌ ممتزجٌ من محبةٍ، وخوفٍ، ومشاهدةِ عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجلُّ منها؛ فعبوديته له

توجب استحياءه منه لا محالة. عَن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «استَحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَستَحْيِي وَالحَمدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: «لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِستِحيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَن تَحفَظَ الرَّأسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطنَ وَمَا حَوَى، وَلتَذكُرِ المَوتَ وَالبِلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ استَحيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ".

نَعَم هَذَا هُوَ الاِستِحيَاءُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نَبِيُّ الإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ الإِنْسَانُ حَوَاسَّهُ، يَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَى فُحْشٍ، وَغِنَاءٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ شَهْوَةٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِقَبِيْحٍ أَوْ مُنْكَرٍ؛ وَكَذَلِكَ يَحْفَظُ بَطْنَهُ فَلَا يُدْخِلُ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ فَلَا يَرْتَكِبُ فَاحِشَةً. وَيَذْكُرُ المَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَآثَرَ مَا يَبقَى عَلَى مَا يَفنَى، فَآثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنيَا. وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ تَحَقَّقَ بِمَعْنَى الاِستِحيَاءِ؛ الَّذِي هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي الحَيَاءِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ«

يَا لَهَا مِن وَصِيَّةٍ: مَا أَجَلَّهَا وَأَعْلَاهَا! لِمَن وُفِّقَ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا. فَمِنْ وَقَارِ اللَّهِ: أَنْ يَسْتَحِيَ العَبْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الخَلوَةِ، أَعظَمَ مِمَّا يَستَحِي مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ".

وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيكَ، مُطَّلِعٌ عَلَيكَ، فَقُل لِنَفسِكَ: لَو كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَومِي يَرَانِي، لَاستَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيفَ لَا أَستَحِي مِن رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ لَا آمَنُ تَعجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشفَ سَترِهِ؟! فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ

حَيثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاستَحضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَركَ المَعَاصِي فِي السِّرِّ.

– **حياءُ الشرفِ والعزة:** فحياءُ النفسِ العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذلٍ، أو عطاءٍ، أو إحسانٍ؛ فإنه يستحيي مع بذله حياءَ شرفِ نفسٍ، وعزة.

وهذا له سببان أحدهما هذا، والثاني: استحياؤه من الآخذ، حتى كأنه هو الآخذُ السائلُ، حتى إنَّ بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسُه بمواجهته لمن يعطيه حياءً منه، وهذا يدخل في التلوم؛ لأنه يستحيي من خجلة الآخذ.

– **حياء المرء من نفسه:** حياء المرء من نفسه: بأن تشرف همته فيستحى من رضى نفسه بالنقص فيجد نفسه مستحيا من نفسه، حتى كأن له نفسين فيستحى. فهذا أكمل أنواع الحياء، إذ المستحيي من نفسه أقدر بالاستحياء من غيره.

وهذا أكملُ ما يكون من الحياء؛ فإن العبد إذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر" انتهى ملخصًا من كلام ابن القيم –رحمه الله–.

معاشر الصائمين: قد يشكل على بعض الناس كونُ الحياءِ من الإيمان، وكونُه خيرًا، أو لا يأتي إلا بخير مع أن صاحبه قد يمتنع من أن يواجِهَ بالحق من يستحيي منه، فيترك إنكار المنكر عليه، وأمرَه بالمعروف، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة.

والجواب: أن ذلك المانعَ ليس حياءً حقيقيًّا بل هو صوريّ وإنما هو عجز ومهانةٌ، وخورٌ، وتسميته حياءً من باب التجوز لمشابهته الحياء الحقيقي.

ثم إن الحياءَ وسطٌ بين رذيلتين إحداهما: الوقاحة، والأخرى: الخجل، ويقال لها: الخَرَق.

أما الوقاحةُ فمذمومةٌ لكل إنسان وحقيقتها: لجاج النفس في تعاطي القبيح. وأما الخرَقُ وهو الدهشةُ من شدة الحياء، فيذمُّ به الرجل لا سيما في المواطن التي تقتضي الإقدامَ، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحكمِ بالحق، والقيام به، وأداء الشهادات على وجهها، ونحو ذلك.

مظاهرَ تدلُّ على قلة الحياء:

معاشر الصائمين: ومع عظم مكانة الحياء، وما ورد في فضله، والنهي عن ضده إلا **أن هناك مظاهرَ تشيع في أوساط الناس تدلُّ على قلة الحياء.**

- منها المجاهرةُ بالمعاصي، وقلةُ الأدب مع الوالدين، والجيران، والمربين، والمعلمين.

- ومنها كثرةُ اللجاج، والسباب، والخصومة، والصخب.

- ومنها التدخينُ خصوصًا في الأماكن العامة. ومن مظاهر قلة الحياء رفعُ الصوت بالغناء، ومعاكساتُ النساء، والكتاباتُ البذيئة على الجدارن والأماكن العامة.

- ومنها التبذلُ، والتبرجُ، والتكشفُ، والتعري، وتقليدُ الكفار في مستهجن العادات.

- ومن مظاهر قلة الحياء كثرةُ الحديث عن النفس على سبيل المفاخرة، وتقصُّدُ استعمال ما يدعو إلى الشهرة ولفت الأنظار.

معاشر الصائمين: الحياءُ فطريٌّ غريزي يولد مع الإنسان، وهو كذلك اكتسابي يناله الإنسان بالأخذ بالأسباب. **ومما يعين على اكتساب الحياء وتنميته:**

– استحضارُ مراقبة الله عز وجل، والإمساكُ مما تقتضيه قلةُ الحياءِ من قولٍ أو فعلٍ، وتذكرُ الآثارِ الطيبة للحياء، والآثارِ القبيحة لقلة الحياء.

– ومنها مجالسة أهل الحياء، ومجانبةُ أهل الوقاحة، ومجاهدةُ النفس، وقراءةُ القرآن بالتدبر؛ فإنه يهدي للتي هي أقوم، والحياء من جملة ذلك.

– ومنها تعاهدُ الإيمان وتقويتُه؛ فإنَّ الحياء من الإيمان، وتحري الصدق؛ فإنَّه يهدي إلى البر، والحياءُ من البِر، وتجنبُ الكذب؛ فإنه يهدي إلى الفجور وقلة الحياء من الفجور.

– **ومن أسباب اكتساب الحياءِ كذلك:** الدعاءُ، واستحضارُ حياء النبي صلى الله عليه وسلم ومطالعةُ أخلاق الكمَّل من الرجال، والتناصحُ والتواصي بالحياء، وإشاعةُ روح الحياء في المجتمع، والحرصُ على إزالة ما ينافي ذلك، وتربية الأولاد على هذا الخلق العظيم.

اللهم اجعلنا من أهل الحياء، وأعِذنا من قلة الحياء وسوء الأدب.

الحلقة العشرون: فتح مكة المكرمة

إذا تأملنا أحداث **فتح مكة** هذا الفتح الأكبر نستطيع أن ندرك تماماً قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن والشدائد والابتلاءات التي وقعت بالمسلمين من قبله. إن شيئاً من هذا الجهاد والتعب والمحن لم يذهب بدداً، ولم ترق نقطة دم لمسلم هدراً في هذا الفتح وما فيه من انتصار كبير وباهر، ولم يتحمَّل المسلمون كلَّ ما لاقوه مما قد علمنا في هجرتهم وغزواتهم وأسفارهم، ليس لأنَّ رياح المصادفة فاجأتهم بها، ولكن كلٌّ ذلك كان وفق مشيئة الله، وحسب سننه في خلقه، فكلُّ التضحيات المتقدمة كانت تؤدي أقساطاً من ثمن الفتح والنَّصر وتلك هي سنة الله في عباده فلا نصر بدون إسلامٍ صحيحٍ، ولا إسلام بدون

عبودية لله، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وابتلاء وتمحيص، وجهاد في سبيله، ولذلك كان فتح مكة في العشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة مليئاً بالدروس والعبر والعظات، وهذه لمحات من أحداث الفتح وعبره وعظاته.

وسبب فتح مكة: أنَّ قريشاً قامت بنقْض عهدِها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ارتكبتْ خطأ فادحًا بإعانة حلفائها قبيلة بني بكر بالخيل والسلاح والرجال، على قبيلة خزاعة التي دخلت في عهد المسلمين وحِلْفهم، وقد اشترك في هذه الخيانة بعضُ زعماء قريش؛ كصفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو.

وقدَم عمرو بن سالم الخزاعي إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فأنشد أبياتًا من الشعر أمام الرسول صلى الله عليه وسلم يَستنصِره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نُصرتَ يا عمرو بن سالم).

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش يُخيِّرهم بين دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بني بكر، أو القتال، فاختارت قريش القتالَ. وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف مقاتل في العشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة، قاصدًا مكة وإن لم يُعلِن وجهته؛ حرصًا على السِّرِّية، وكان عدد جيش المسلمين الفاتح عشرة آلاف مقاتل.

وعسكر الجيش في مر الظهران، وخرج بعض كبار قريش يتحسَّسون الأخبار، وكان من بينهم أبو سفيان، الذي التقاه العباس واصطحبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد حوارٍ قصير أسلم أبو سفيان، ثم انطلق إلى مكة فأخبَرهم بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأوضح لهم قوةَ المسلمين وصعوبة مقاومتهم، وأن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومنَ دخل داره فهو آمن،

ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن. ففرَّ أغلب الناس إلى بيوتهم وإلى المسجد، وبقي بعض زعماء قريش؛ مِثْل عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، مع بعض الأوباش والسفهاء من قبائل شتى لقتال المسلمين، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم.

وسرعان ما دخلت جيوش المسلمين إلى مكة بعد مقاومة يسيرة، وما تعرَّض المسلمون لأحد إلا مَن قاتَلهم؛ حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قادة الجيش ألا يُقاتلوا إلا مَن يُقاتل، وأعلن الأمان للجميع إلا نفرًا قليلاً أباح دماءهم؛ لشدة إيذائهم للمسلمين؛ بحيث يُمكِن تصنيفهم كمجرمي حرب. أما عامة أهل مكة، فقد نالهم عفو عام رغم إلحاقهم أنواعًا من الأذى بالمسلمين وأهل الدعوة من قبل.

وأمَر الرسول صلى الله عليه وسلم بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها؛ لتتخلَّص مكة من مظاهر الوثنية وأوضار الجاهلية، وتستأنف عهدًا جديدًا عُنوانه: التوحيد الخالص لله عز وجل. وكان عظيمًا أن يصعد بلال الكعبة فيؤذِّن فوقها، ويعلو صوت التكبير في مكة، ثم يُصلي الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون خاشعين شاكرين لله تعالى.

وبذلك تمَّت الحلقة الأخيرة في هذا الصراع بين المسلمين وكفار قريش بهذا النصر المؤزر والفتح المبين، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والله غالب على أمره، ومَن يُغالِب الله يُغلَب.

وهذه لمحات من الفتح وعبره وفوائده:

1- بيان عاقبة نكث العهود وأنه وخيم للغاية، إذ نكثت قريش عهدها فحلت بها الهزيمة، وخسرت كيانها الذي كانت تدافع عنه وتحميه.

2- تجلِّي النبوة المحمدية والوحي الرباني في الإخبار بالمرأة حاملة خطاب حاطب بن أبي بلتعة؛ إذ أخبر عنها وعن المكان الذي انتهت إليه في سيرها وهو (رَوْضة خاخ). ويروى أن فضالة بن عمير أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضالة؟" قال نعم! فضالة يا رسول الله، قال: "ماذا كنت تحدث به نفسك"، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "استغفر الله"، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

3- فضيلة إقالة عثرة الكرام، وفضل أهل بدر، وقد تجلَّى ذلك واضحاً في العفو عن حاطب بعد عتابه، واعتذاره عن ذلك، بالتوبة منه.

4- مشروعية التعمية على العدو حتى يُباغت، قبل أن يكون قد جمع قواه، فتسرع إليه الهزيمة وتقل الضحايا والأموات من الجانبين حقناً للدِّماء البشرية. ومن ذلك أيضا: اتخاذ وسائل الحرب النفسية إرهابًا للعدو كما حدث من أمره للجنود بإيقاد النيران، وكما جرى من حبس أبي سفيان عند خطم الجبل وقت استعراض الجيش.

6- بيان القدرات العسكرية العالية للنبي صلى الله عليه وسلم في قيادة الجيوش، وتحقيق الانتصارات الباهرة، بمعونة من الله وفضل.

7- مشروعية إرهاب العدو بإظهار القوة له، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن

دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} الأنفال.60

8- إنزال الناس منازلهم، وقد تجلَّى هذا في إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان كلماتٍ يقولهن، فيكون ذلك فخراً له واعتزازاً، وهي: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن" ينادي بها بأعلى صوته.

9- بيان تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم لربه شاكراً له على آلائه وإنعامه عليه إذ دخل مكة وهو مطأطئ الرأس، حتى إنَّ لحيته لتمس رحلَ ناقته تواضعاً لله وخشوعاً. فلم يدخل وهو الظافر المنتصر دخولَ الظلمة الجبارين سفاكي الدماء البطَّاشين بالأبرياء والضعفاء. وتواضع النبي صلى الله عليه وسلم مع والد أبي بكر، وتواضعه في استجابته لمن طلب عمامته أمارة لتأمين أحد خصومه، وإمهاله لمن استمهله في اعتناق الإسلام ليدخل فيه طائعًا مختارًا كما حدث مع صفوان بن أمية.

10- بيان العفو الكبير للرسول صلى الله عليه وسلم إذْ عفا عن قُريشٍ العدو الألد، ولم يقتل منهم سوى أربعة رجال وامرأتين.

11- بيان كمال النبي صلى الله عليه وسلم في عدله ووفائه، تجلَّى ذلك في رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة، ولم يُعطه مَن طلبه منه وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع أنه صهره الكريم وابن عمه. وبيان ذلك أنه لما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، وقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة والسقاية،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين عثمان بن طلحة"، فدعي له، فقال: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء".

12- وجوب كسر الأصنام، والصور، والتماثيل، وإبعادها من المساجد بيوت الله تعالى.

13- تقرير مبدأ الجوار في الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ).

14-لا عزة إلا بالإسلام؛ فمَن اعتز بالإسلام أعزَّه الإسلام، وإذا ابتغى المسلم العزةَ في غير الإسلام أذلَّه الله، ولما اعتزَّ بلال بدينه، وثبت على إسلامه، جاء الوقت ليعلن فيه للجميع، أنه الإسلام الذي يرفع أتباعه، بغض النظر عن اللون والقبيلة، فمن انتمى لدين الإسلام عاش عزيزًا، ومن لم ينتمِ إليه عاش ذليلًا.

إنَّ الله أعزَّ الصحابة رضي الله عنهم عندما اعتزوا بإسلامهم، فإذا أرادت الأمة المسلمة اليوم العزةَّ والتمكين فلتعتزَّ بدينها، ولتُطِعْ ربها، وتقتدِ بنبيها؛ فأساسُ العزةِ الطاعة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ المنافقون: 8؛ والعزة يا حكام العرب والمسلمين في موالاة المؤمنين، وعدم موالاة الكافرين، قال ربنا :(الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ النساء: 139.

قال الطبري: "فإن الذين اتخذوهم – أي المنافقين- من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم، هم الأذلاء الأقلاء؛ فهلَّا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا

العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، فيعزهم ويمنعهم؟.

وهنا لا يفوتنا أن نُشيرَ إلى سُنَّة من سنن الله تحقَّقت في هذا الفتح، وهي وَعْدُه سبحانه جلَّ وعلاَ بنصْر المستضعَفِين، ووراثتهم للأرض؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص: 5.

الحلقة الحادية والعشرون: شهر رمضان يعزز علو الهمة عند المسلم

إن الناس قبل رمضان نوعان: **أولهما:** من انشغل بالدنيا وصاحب أهل الغفلة والسهو واللعب وصاحب أهل الذنوب والمعاصي، فليس له همة للعمل الصالح، وإنما هو له همة دنيئة حول الحش، لا يفكر إلا في الطعام والشراب، والملذات والشهوات، بعيد عن ربه، مقبل على شهواته، لم يذق طعم الإيمان ولا حلاوته، ولا استشعر سعادة القلب وهدوء النفس.

وثانيهما: من له همة ترقيه وعلم يبصره ويهديه من أهل العلم والخير والعمل الصالح، عابد لربه مقبل عليه، مجتهد في طاعته، يزداد مع مرور الوقت إيمانًا وعملاً، يجد حلاوة الإيمان وطعمه ولذته، رزقه الله علمًا نافعًا وعملاً صالحًا، استقام له سيره إلى الله تعالى. أهل الهمم، فهم صفوة الأمم، وأهل المجد والكرم، طارت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود، ومطالع السعود، ومراتب الخلود، ومن أراد المعالي هان عليه كل همّ، لأنه لولا المشقة ساد الناس كلهم.

معنى علو الهمَّة:

والهمة هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره. وأما علو الهمة فهو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية. وقال الراغب الأصفهاني: (والكبير الهمة على الإطلاق: هو

من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد رعاية بطنه، وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة).

أقوال السلف والعلماء في علو الهمة:

– روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لا تصغرنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم) .

– وقال مالك: (عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها) .

– وقال ابن الجوزي: (من علامة كمال العقل علوُّ الهمة، والراضي بالدون دني) .

– وقال ابن القيم: (فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكلِّ خلق جميل. ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكلِّ خلق رذيل) . وقال أيضًا: (الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء: تعرُّف لصفة من الصفات العليا، تزداد بمعرفتها محبة، وإرادة، وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكرًا، أو إطاعة؛ وتذكُّر لذنب تزداد بتذكره توبة، وخشية، فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة، جالت في أودية الوساوس والخطرات، من عشق الدنيا نظرت إلى قدرها عنده، فصيَّرته من خدمها وعبيدها وأذلَّته، ومن أعرض عنها نظرت إلى كبر قدره فخدمته، وذلَّت له. إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة، وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق، ونام الليل كلَّه، فمتى يصل إلى مقصده؟) . وقال أيضًا: (العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة).

ولعلو الهمة مظاهر وصور كثيرة جدًّا؛ فالأعمال الجادة كلها تحتاج إلى علو الهمة، وسنتحدث عن بعض مظاهر علو الهمة وهي كالتالي:–

1– علو الهمة في طلب العلم:

من مظاهر علو الهمة: الاجتهاد في طلب العلم؛ والجد والمثابرة في تحصيله وإن من أعظم ما يعين على علو الهمة في طلب العلم مطالعة ما أعده الله عزَّ وجلَّ لطالب العلم والعلماء. قال الشوكاني في الحثِّ على علو الهمة في طلب العلم: (فإنَّ الله سبحانه قد قرن العلماء في كتابه بنفسه وملائكته فقال: **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) وقصر الخشية له التي هي سبب الفوز لديه عليهم فقال: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)** ، وأخبر عباده بأنه يرفع علماء أمته درجات فقال: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)** وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العلماء ورثة الأنبياء.

وناهيك بهذه المزية الجليلة، والمنقبة النبيلة، فأكرم بنفس تطلب غاية المطالب في أشرف المكاسب، وأحبب برجل أراد من الفضائل ما لا تدانيه فضيلة، ولا تساميه منقبة، ولا تقاربه مكرمة) . كذلك مطالعة أحوال السلف، وعلو همتهم في التعلم والتعليم، والقراءة والإقراء والتصنيف، والرحلة في طلب العلم، والسهر في المذاكرة، والتعرض للأخطار، ومعاناة الجوع والمرض في سبيله، والضن بالوقت أن يضيع في غير تحصيل فائدة، أو الوقوف على نكتة علمية، إلى غير ذلك من صور علو همتهم في طلب العلم.

2- **علو الهمة في الدعوة إلى الله:** من مظاهر علو الهمة: الدعوة إلى الله؛ فالمسلم يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بما علم. قال صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية) والداعية إلى الله سبحانه وتعالى همه هداية الناس، ودعوتهم إلى الحق، فيقوم ببذل نفسه في سبيل الدعوة إلى الله، قال ابن حزم: (لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى حقٍّ، وفي حماية الحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى، وفي نصر مظلوم، وباذل نفسه في عرض دنيا، كبائع الياقوت بالحصى) . ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وسلف الأمة، القدوة الحسنة، فقد بذلوا كل غال ونفيس في سبيل الدعوة إلى الله.

3- **علو الهمة في الجهاد في سبيل الله:** من مظاهر علو الهمة الاندفاع إلى الجهاد في سبيل الله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة ، أو فزعة، طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه) والمواقف ن حياة الصحابة والسلف كثيرة في بيان جهادهم في سبيل الله، وما بذلوه من تضحيات من أجل هذا الدين.

4- **علو الهمة في العبادة**: من مظاهر علو الهمة: الجد والاجتهاد في عبادة الله سبحانه وتعالى، والاستقامة على دينه ولقد فقه سلفنا الصالحون عن الله أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنتها، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وتناءت قلوبهم من مطامعها، وارتفعت همتهم على السفاسف، فلا تراهم إلا صوَّامين قوامين، باكين والهين، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة، تشير بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات. قال الحسن: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره. وقال وُهيب بن الورد: (إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل).

أسباب علو الهمة:

إن علو الهمة يحتاج إلى جهد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وتلمس الأسباب التي توصل إليه، وسلوك الطرق التي تؤدي إليه، وفيما يلي بعض **أسباب علو الهمة:**

1- العلم: العلم أحد أسباب علو الهمة، فهو يرشد من طلبه إلى مصالحه، ويدفعه إلى العمل، ويعرفه بآفات الطريق ومخاطره، ويورث صاحبه فقها بالأولويات ويعرفه بمراتب الأعمال. وكلما ازداد الإنسان من العلم النافع علت همته، وازداد عمله؛ ونماذج العلماء الصادقين الذين علت هممهم أكبر برهان على ذلك.

2- الدعاء: وهو سلاح المؤمن الذي يلجأ إليه إذا فترت الهمة وضعفت العزيمة، فعلى المسلم ألا يغفل هذا الباب فهو من أعظم الأسباب لتحصيل الهمة العالية، والعاجز من عجز عن الدعاء.

3- تذكر اليوم الآخر: فلا شك أن تذكر الموت، وفتنة القبر، وأهوال القيامة، يبعث في القلب الهمة ويوقظه من غفلته، وتبعثه من رقدته؛ وتدبر قوله عز وجل وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر أصحابه بالجنة والنار، فالحث على العمل وبعث الهمم يكون بالتذكير باليوم الآخر والجنة والنار.

4- طبيعة الإنسان: من الناس من جبل على علو الهمة، فلا يرضى بالدون، ولا يقنع بالقليل، ولا يلتفت إلى الصغائر. ولهذا قيل: ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علوًّا، كالشعلة في النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا. قال عمر بن عبد العزيز: إنَّ لي نفسًا تواقة؛ لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة.

5- أثر الوالدين ودورهما في التربية الصحيحة: فأثر الوالدين في التربية عظيم، ودورهما في إعلاء همم الأولاد خطير وجسيم؛ فإذا كان الوالدان قدوة في الخير، وحرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق ومرذول الأعمال فإن لذلك أثرًا عظيمًا في نفوس الأولاد؛ لأن الأولاد سيشبون بإذن الله متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، متصفين بمكارم الأخلاق، مبغضين لسفساف الأمور، نافرين عن مساوئ الأخلاق.

6- النشأة في مجتمع مليء بالقمم: فمن بواعث الهمة، أن ينشأ الصغير في مجتمع تكثر فيه النماذج المشرقة من الأبطال المجاهدين، والعلماء العاملين؛ والتي تمثل القدوة، فهذا مما يحرك همته؛ كي يقتدي بهم، ويسير على طريقهم، ومن لم يتهيأ له ذلك فليتحول عن البيئة المثبطة، الداعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون.

7- وجود المربين الأفذاذ والمعلمين القدوات: الذين يستحضرون عظم المسؤولية، ويستشعرون ضخامة الأمانة، والذين يتسمون ببعد النظرة، وعلو الهمة، وسعة الأفق وحسن الخلق، والذين يتحلون بالحلم والعلم، والصبر والشَّجَاعَة، وكرم النفس والسماحة.

8- مصاحبة أصحاب الهمم ومطالعة سيرهم: فلا شك أنَّ الصحبة لها تأثير كبير، لذا من أراد تحصيل الهمة العالية فليصحب أصحاب الهمم العالية، فإنه يستفيد من أفعالهم قبل أقوالهم، ومن لم يوفق لصحبة هؤلاء فليكثر من مطالعة سيرهم، وقراءة أخبارهم فإن ذلك مما يبعث الهمة، ويدعو إلى علوها. يقول ابن الجوزي: (فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو

كتاب من فائدة... فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم) . إلى أن قال: (فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب).

9- استشعار المسؤولية: وذلك بأن يستشعر الإنسان مسؤوليته، ويعمل ما في وسعه ومقدوره، ويحذر كل الحذر من التهرب من المسؤولية، والإلقاء باللائمة والتبعة على غيره؛ ذلك أن المسؤولية في الإسلام عامة، تشمل كل فرد من المسلمين؛ فهم جميعًا داخلون في عموم قوله صلى الله عليه وسلم:(كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته)، فالمسؤولية مشتركة، كل امرئ بحسبه، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بوعظه وإرشاده، وهذا بقوته وماله، وهذا بجاهه وتوجيهه إلى السبيل النافع وهكذا.

علامات عالي الهمة:

هذه بعض العلامات الدالة على صاحب الهمة العالية، أذكرها مختصرة:-

1- الزهد في الدنيا.

2- المسارعة في الخيرات والتنافس في الصالحات.

3- التطلع إلى الكمال والترفع عن النقص.

4- الترفع عن محقرات الأمور وصغائرها ونشدان معالي الأمور وكمالاتها.

5- الأخذ بالعزائم.

6- الاستدراك على ما فات.

7- أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات.

8- الاهتمام بواقع الأمة والسعي لإصلاحه.

9- حسن إدارة الأوقات.

الحلقة الثانية والعشرون: رمضان شهر ل**علاج هموم القلب**

إنَّ راحة القلب وطمأنينته، وسروره، وزوال همومه وغمومه: هو المطلب لكل مسلم، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم: فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب، يجاهد عقلاؤهم عليه: فاتتهم من وجوه أنفع، وأثبت، وأحسن حالاً، ومآلاً.

وسائل علاج هموم القلب:

- التسلّح بالإيمان المقرون بالعمل الصالح: قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وسبب ذلك واضح، فإنَّ المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتعاملون بها مع كلّ ما يرد عليهم من أنواع المسرات والأحزان. فيتلقون النّعم والمسارّ بقبول لها، وشكر عليها، ويستعملونها فيما ينفع، فإذا فعلوا ذلك أحسوا ببهجتها وطمعوا في بقائها وبركتها ورجاء ثواب شكرها وغير ذلك من الأمور العظيمة التي تفوق بخيراتها وبركاتها تلك المسرات.

ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لِما يمكنهم مقاومته وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم عنه بد، فيحصّلون منافع كثيرة من جراء حصول المكاره، ومن ذلك: المقاومات النافعة، والتجارب المفيدة، وقوة النفس، وأيضا الصبر واحتساب الأجر والثواب وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبّر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا

المعنى في الحديث الصحيح بقوله: (عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ) رواه مسلم.

– النظر فيما يحصل للمسلم من تكفير الذنوب وتمحيص القلب ورفع الدرجة، إذا أصابته غموم الدنيا وهمومها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ وَلا سَقَمٍ وَلا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ).

فليعلم المهموم أن ما يصيبه من الأذى النفسي نتيجة للهمّ لا يذهب سدى بل هو مفيد في تكثير حسناته وتكفير سيئاته، وإذا علم العبد أن ما يصيبه من المصائب يكفّر عنه سيئاته فرح واستبشر، وخصوصاً إذا عوجل بشيء بعد الذنب مباشرة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة بذنبه).

ثالثاً : معرفة حقيقة الدنيا: إذا علم المؤمن أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدّرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيراً منعت كثيراً، والمؤمن فيها محبوس كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) رواه مسلم. وهي كذلك نصب وأذى وشقاء وعناء ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقها كما جاء عن أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ قَالَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ

الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) رواه البخاري. إن هذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يهوّن عليه كثيراً من وقع المصاب وألم الغمّ ونكد الهمّ لأنه يعلم أنه أمر لا بدّ منه فهو من طبيعة هذه الحياة الدنيا.

– ابتغاء الأسوة بالرسل والصالحين واتخاذهم مثلاً وقدوة: وهم أشد الناس بلاءً في الدنيا ، والمرء يبتلى على قدر دينه، والله إذا أحب عبداً ابتلاه وقد سأل سعد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: (الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ).

– أن يجعل العبد الآخرة همه: لكي يجمع الله له شمله لما رواه أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ).

سادساً : علاج مفيد وهو ذكر الموت: لقوله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر هادم اللذات : الموت فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلا ضيَّقها عليه).

سابعاً: دعاء الله تعالى: وهذا نافع جداً ومنه ما هو وقاية ومنه ما هو علاج، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن حاله معه بقوله: (كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل فكنت أسمعه كثيراً يقول :(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ

الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) رواه البخاري، وهذا الدعاء مفيد لدفع الهم قبل وقوعه والدفع أسهل من الرفع. ومن أعظم الأدعية في إذهاب الهمّ والغم والإتيان بعده بالفرج: الدعاء العظيم المشهور الذي حثّ النبي صلى الله عليه وسلم كلّ من سمعه أن يتعلّمه ويحفظه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجا قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا).

– **الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:** وهي من أعظم ما يفرج الله به الهموم : روى الطُّفَيْلُ بْنُ أُبَيِّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي، فَقَالَ مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا؟! قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ).

– **التوكل على الله عز وجل وتفويض الأمر إليه:** ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن

التعبير عنه، والمعافى من عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه"، أي كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه. فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه ، ويتبدل عسره يسرا، وترحه فرحا.

- ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله تعالى: فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال الله تعالى: **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب).**

- **اللجوء إلى الصلاة :** قال الله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة) وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى).

- ومما يفرج الهم أيضا الجهاد في سبيل الله: قال عليه الصلاة والسلام : **(عَلَيْكُمْ** بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ).

- التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة: فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا. فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه التي لا تحصى ولا تعدّ وبين ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة، بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضى والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان

تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضا، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوة أجرها مرارة صبرها.

- الانشغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة: فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه. وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه، وازداد نشاطه، وهذا السبب أيضا مشترك بين المؤمن وغيره. ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعلمه، ويعمل الخير الذي يعمله، إن كان عبادة فهو عبادة وإن كان شغله دنيوياً أو عادة دنيوية أصحبها النية الصالحة، وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهموم والغموم والأحزان.

- **ومن الأمور النافعة عدم السماح بتراكم الأعمال والواجبات:** وذلك بحسمها في الحال والتفرغ للمستقبل، لأن الأعمال إذا لم تُحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء في وقته تفرّغت للأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل. وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم، فالأهم وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السآمة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درساً دقيقاً، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

- **ومن العلاجات أيضا الشكوى إلى أهل العلم والدين وطلب النصح والمشورة منهم:** فإن نصائحهم وآراءهم من أعظم المثبتات في المصائب. فيسمع المسلم من أهل العلم والقدوة ما يسليه ويخفف عنه آلام غمومه وهمومه.

– ومن العلاجات أن يعلم المهموم والمغموم أن بعد العسر يسراً، وأن بعد الضيق فرجاً: فليحسن الظن بالله فإنه جاعل له فرجاً ومخرجاً. وكلما استحكم الضيق وازدادت الكربة قرب الفرج والمخرج. وقد قال الله تعالى في سورة الشرح: (فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) فذكر عسراً واحداً ويسرين، فالعسر المقترن بأل في الآية الأولى هو العسر في الآية الثانية، أما اليسر في الآية الثانية فهو يسر آخر غير الذي في الآية الأولى.

الحلقة الثالثة والعشرون: فضل ليلة القدر والعشر الأواخر من رمضان

ها هي عشركم يا عباد الله قد حضرت، وها هو ثلث الشهر الأخير قد بدأ، هذا هو موسم المتسابقين، وسوق العابدين، وفرصة المجتهدين، هذه العشر التي كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يشد مئزره إذا دخلت، ويعتزل النساء للعبادة؛ لأنه كان يعتكف في المسجد، بعد أن أحيا ليله، وأيقظ أهله، وهذا فيه اهتمام بالأهل والأولاد، وليس أن يجتهد الأب، والبقية نائمون، وإنما هو اجتهاد واستنفار عام في البيت لهذا الحدث الكبير الذي وقع، وهو دخول هذه العشر، ومن الناس من لم يدركها؛ لأن الله تعالى كتبه في الأموات.

لقد كان السلف الصالح من أسرع الناس امتثالاً واتِّباعًا للنبي صلى الله عليه وسلم في اغتنام العشر، فكان كثير منهم يجتهدون في ليالي العشر اجتهادًا عظيمًا، وكان بعضهم يغتسل كل ليلة ليكون أنشطَ له في العبادة، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه، ليخلو في محرابه يدْعو الله ويعبده، وهو في أكمل هيئة، وأبهى صورة، **قال** تعالى: (وعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)، وقوله تعالى: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ

عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ). فإضافته إلى المساجد المختصة بالقربات وترك الوطء المباح لأجله دليل على أنه قربة.

وعن عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده". وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، كل خندق أبعد ما بين الخافقين)؛ رواه الطبراني في "الأوسط".

ومما يبين فضل العشر الأواخر من رمضان أمور:

الأول : أن الله تعالى أقسم بها في قوله تعالى سبحانه: **(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)** إن الإقسام بليالي العشر من رمضان تنبيهاً على فضلها وشرفها وعظيم النعمة بها وتذكيراً للمخاطبين على كثرة بركتها وخيرها وحثاً لهم على اغتنام لياليها بالتقرب إلى الله تعالى بما شرع فيها من الطاعات وجليل القربات فإنها أفضل ليالي السنة على الإطلاق – كما أن أيام العشر من ذي الحجة أفضل أيام السنة على الإطلاق كما هو مذهب جمع من محققي أهل العلم.

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص تلك الليالي بمزيد من الاجتهاد ويوليها ما تستحق من العناية إشهاراً لفضلها وحثاً للأمة على طلب فضائلها وبركاتها ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مؤزره وأحيا ليله وأيقظ أهله، وفي صحيح مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت :**(كان – تعني النبي صلى الله عليه وسلم– يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيرها)،** وتواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف تلك الليالي فيلازم المسجد

فلا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان فكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العشر يقطع الأشغال ويفرغ البال ويشتغل بصالح الأعمال من صلاة وصدقة وتلاوة للقرآن وجود بأنواع الإحسان والذكر والدعاء استزادة من الخير والهدى. فتفرغ النبي صلى الله عليه وسلم لها واعتكافه فيها من أكبر الأدلة على فضلها وشرفها.

الثالث : إن فيها ليلة القدر قطعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان). وقوله صلى الله عليه وسلم (التمسوها في الوتر من العشر الأواخر).

آداب الاعتكاف: وهذه جملة من الآداب في العشر الأخير من رمضان يحسن بالمعتكفين مراعاتُها، والأخذُ بها ليكون اعتكافُهم كاملاً صحيحا ومقبولاً بإذن الله.

أولاً: استحضارُ النيَّةِ الصالحةِ، واحتسابُ الأجر على الله تعالى.

ثانيًا: استشعارُ الحكمةِ من الاعتكاف، وهي الانقطاع للعبادة، وجَمْعِيَّةُ القلب على الله تعالى.

ثالثًا: ألاَّ يخرج المعتكفُ إلاَّ لحاجته التي لا بُدَّ منها.

رابعًا: المحافظةُ على أعمال اليوم والليلة من سنن، وأذكار مطلقة ومقيَّدة؛ كالسنن الرواتب، وسنَّة الضحى، وصلاة القيام، وسنَّة الوضوء، وأذكار طرفي النهار، وأذكار أدبار الصلوات، وإجابة المؤذن، ونحو ذلك من الأمور التي يحسن بالمعتكف ألاّ يفوته شيء منها.

خامسًا: الحرصُ على الاستِيقاظ من النوم قبل الصلاة بوقتٍ كاف، سواء كانت فريضة أو قيامًا؛ لأجل أن يتهيأ المعتكف للصلاة، ويأتِيَها بسكينة ووقار وخشوع.

سادسًا: الإكثار من النوافل عمومًا، والانتقالُ من نوع إلى نوع آخر من العبادة؛ لأجل ألا يدبَّ الفتور والملل إلى المعتكف؛ فَيُمْضِيَ وقته بالصلاة تارة، وبقراءة القرآن تارة، وبالتسبيح تارة، وبالتهليل تارة، وبالتحميد تارة، وبالتكبير تارة، وبالدعاء تارة، وبالاستغفار تارة، وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تارة، وهكذا.

سابعًا: اصطحاب بعض كتب أهل العلم، وخصوصًا التفسير؛ حتى يُستعانَ به على تدبُّر القرآن الكريم.

ثامنًا: الإقلال من الطعام والكلام والمنام؛ فذلك أدعى لرقَّة القلب، وخشوع النفس، وحفظ الوقت، والبعد عن الإثم.

تاسعًا: الحرص على الطهارة طيلة وقت الاعتكاف.

عاشرًا: يحسن بالمعتكفين أن يتواصوا بالحق وبالصبر وبالنصيحة والتذكير، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، والإيقاظ من النوم، وأن يَقْبَل بعضُهم من بعض. وبالجملة فليحرص المعتكف على تطبيق السُّنَّة، والحرص على كل قُربة، والبعد عن كل ما يفسد اعتكافه، أو ينقص ثوابه.

ملحوظات حول الاعتكاف: أولاً: كثرةُ الزياراتِ وإطالتُها من قِبل بعض الناس لبعض المعتكفين، وينتجُ عن ذلك كثرةُ حديثٍ، وإضاعةُ أوقات.

ثانيًا: كثرةُ الاتِّصالات والمراسلات عبرَ الجوال بلا حاجة.

ثالثًا: المبالغةُ في إحضار الأطعمة؛ وذلك يفضي إلى ثِقَلِ العبادة، وإيذاءِ المصلين برائحة الطعام؛ فالأولى للمعتكف أن يقتصد في ذلك.

رابعًا: كثرةُ النومِ، والتثاقلُ عند الإيقاظ، والإساءةُ لمن يوقِظُ من قِبل بعض المعتكفين، بدلاً من شكره، والدعاء له.

خامسًا: إضاعةُ الفرصِ؛ فبعضُ المعتكفين لا يبالي بما يفوته من الخير، فتراه لا يتحرى أوقات إجابة الدعَاء، ولا يحرص على اغتنام الأوقات، بل ربما فاته بسبب النوم أو التكاسل بعضُ الركعاتِ أو الصلوات.

سادسًا: أن بعض الناس يشجِّع أولاده الصغار على الاعتكاف، وهذا أمرٌ حسن، ولكنْ قد يكون الأولادُ غيرَ متأدبين بأدب الاعتكاف، فيحصل منهم أذيَّة وإزعاج، وجلبةٌ وكثرةُ مزاح وكلام، وخروج من المسجد، ونحو ذلك. فإذا كان الأمر كذلك فبيوتهم أولى لهم.

ثمرات وحكم الاعتكاف:

1- المعتكف ذِكرُ الله أنيسُه، والقرآنُ جليسُه، والصلاةُ راحتُه، ومناجاةُ الحبيب متعتُه، والدعاءُ والتضرع لذَّتُه، إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم، لازم هذا المعتكفُ بيتَ ربِّه، وحبس من أجله نفسه، يقف عند أعتابه يرجو رحمتَه، ويخشى عذابه.

2- إن العشر الأواخر من رمضان خير من أوله وأوسطه، فإن الله تعالى قد اختص هذا العشر بمزيد من الأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة، والله تعالى عليم حكيم يضع الأمور مواضعها اللائقة بها فلولا أن هذا العشر تستحق التفضيل ما فضلها. وكلما زاد إيمان العبد زادت رغبته في مناجاة ربه، والوقوف بين يديه، والتلذذ بعبادته.

3- الاعتكاف يؤصل العبودية لله وحده في قلب المؤمن؛ لأن مظاهره واضحة في أداء الصيام والصلوات، والتهجد بالليل، وتلاوة القرآن الكريم، والذكر، والاستغفار، والتوبة والإنابة إلى الله وحده.

4- الذاكر يستحضر عظمة الله الذي يذكره، وإلاّ فلا أثر لذكره، ويكفي المسلم الذاكر شرفًا أن الله يذكره كلما ذكر الله، وذلك قوله سبحانه: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} البقرة: 152.

3- الاعتكاف يؤصِل الرجولة والقوة في المؤمن: وهذا الأمر واضح جليّ لكل من يتأمل في المنهج الفقهي للاعتكاف من حيث السلوك، وأداء العبادات، وتربية النفس والأعضاء.. كل ذلك يعدُّ دعوة صريحة إلى بناء الرجولة الإيمانية، وتأصيلها في المؤمن روحيًّا وجسديًّا. وما أحوج الأمة المسلمة إلى هذه الرجولة في شتى ميادين الحياة التي تحتاج إلى رجال في الدعوة الجهاد والسياسة، والاقتصاد.. وغيرها.

5- صلاة الليل برهان صدق العبد، ودليل محبته لربه، يتلذذ بها، ويتذوق حلاوتها، فهو يعظم ربه حيناً، ويحمده حيناً، ويسأله حيناً، ويستغفره حيناً. وعبادة الليل أشد نشاطاً، وأصفى ذهناً، وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة، وأبلغ في الثواب من عبادة النهار :(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا) المزَّمل:6.

الحلقة الرابعة والعشرون: رمضان شهر الصلة

إن رمضان شهر البر والصلة، وشهر التعاطف والمرحمة، فالقلوب تلين لذكر الله، والنفوس تستجيب لداعي الله، فلا ترى من جَرَّاء ذلك إلا أعمالًا زاكيات، وقربًا من ربّ الأرض والسماوات.

أيها الصائمون الكرام: لقد تظاهرت نصوص الشرع في عظم شأن الصلة، وفضلها، والتحذير من قطيعتها، قال تبارك وتعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} (النساء:1)، وقال عز وجل: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} (محمد: 22-23) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع» رواه البخاري ومسلم، وقال سفيان في روايته: (يعني: قاطع رحم) . وقال صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى: قال: فذلك لكِ» رواه البخاري ومسلم.

وهكذا يتبين لنا عظمُ شأن الصلة، وأنها شعار الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنها سبب في بسط الرزق وطول العمر، وأنها تجلب صلةَ الله للواصل.

ثم إنها من أعظم أسباب دخول الجنة، وهي من أسباب تيسير الحساب، وتكفير الذنوب، وتعمير الديار، ودفعِ ميتة السوء.

وهي مما اتفقت عليه الشرائعُ السماوية، وأقرته الفطرُ السوية، كما أنها دليل على كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء.

وصلة الرحم مدعاةٌ لرفعةِ الواصل، وسببٌ للذكر الجميل، وموجبةٌ لشيوع المحبة، وعزة المتواصلين.

رمضانَ شهرُ البرِّ، وموسمُ الخير، وميدان التنافس.

وإن من أعظم البرِّ وأجل القربات برَّ الوالدين، ذلكم أن حقَّ الوالدين عظيم، ومنزلتهما عالية في الدين؛ فَبِرُّهما قرينُ التوحيد، وهو من أعظم أسباب دخول الجنة، وهو مما أقرته الفطر السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية.

وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين، وهو سبب في زيادة العمر، وسعة الرزق، وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات، وانشراح الصدر، وطيب الحياة.

وهو أيضًا دليل صدق الإيمان، وعلامة حسن الوفاء، وسبب البر من الأبناء.

وفي مقابل ذلك فإن عقوق الوالدين ذنب عظيم، وكبيرة من الكبائر، فهو قرين للشرك، وموجب للعقوبة في الدنيا، وسبب لرد العمل، ودخول النار في الأخرى.

وهو جحودٌ للفضل، ونكرانٌ للجميل، ودليلٌ على الحمق والجهل، وعنوانٌ على الخسة، والدناءة، وأمارةٌ على حقارة الشأن وصِغَرِ النفس.

ولعظم حق الوالدين تظاهرت نصوص الشرع آمرةً ببرهما والإحسان إليهما، ناهيةً عن عقوقهما والتقصير في حقهما، قارنة حقوقهما بحق الله تعالى.

قال الله عز وجل: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (النساء: من الآية 36) .

وقال: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الأنعام: من الآية 151) .

وقال: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء: 23-24)

وفي الصحيحين «عن ابن مسعود أنه قال: سألت رسول الله " أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثمَّ أي؟ قال: بر الوالدين»

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري.

ومع عظم تلك المكانة للوالدين إلا أننا نرى عقوقهما قد تفشّى، وأخذ صورًا عديدةً، ومظاهر شتى؛ فمن ذلك إبكاؤهما وتحزينُهما، ونهرُهما وزجرُهما، والتأففُ والتضجر من أوامرهما، والعبوسُ وتقطيبُ الجبينِ أمامهما.

ومن صور العقوق احتقارُ الوالدين، والنظر إليهما شزرًا، والإشاحةُ بالوجه عنهما إذا تحدثا، وقلةُ الاعتداد برأيهما، وإثارةُ المشكلات أمامهما.

ومن ذلك – عياذًا بالله – شتمُ الوالدين، وذمُّهما عند الناس، والتخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر، والتبرؤُ منهما، والحياءُ من ذكرهما والنسبة إليهما.

ومن صور العقوق الإثقالُ على الوالدين بكثرة الطلبات، والمكثُ طويلًا خارجَ المنزل إلى ساعات متأخرة من الليل، أو النوم خارج المنزل دون علم الوالدين بمكان الولد، خصوصًا إذا كان صغيرًا.

ومن صور العقوق المتناهية بالقبح لعنُ الوالدين، والتعدي عليهما بالضرب، وإيداعُهما دورَ الملاحظة.

ومن صور العقوق هجرُ الوالدين، والبخلُ عليهما، وتركُ نصحهما، والسرقةُ من أموالهم.

أيها الصائمون: هناك آداب ينبغي لنا مراعاتها، ويجدر بنا مع الوالدين سلوكها؛ لعلنا نرد لهما بعض الدين، ونقوم ببعض ما أوجب الله علينا نحوهما؛

لنرضيَ بذلك ربنا، وتنشرحَ صدورنا، وتطيبَ حياتنا، وَتُيَسَّرَ أمورُنا، ويبارك لنا في أعمارنا، ويبسَط لنا في أرزاقنا.

فمما يجدر بنا سلوكه مع الوالدين طاعتُهما، واجتنابُ معصيتهما في غير مخالفة لأمر الله.

ومن ذلك الإحسانُ إليهما، وخفضُ الجناح لهما، والبعدُ عن زجرهما.

ومن صور البرِّ الإصغَاءُ إلى الوالدين، وذلك بالإقبال عليهما إذا تحدثا، وتركِ مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث أو تكذيبهما.

ومن الآداب مع الوالدين التلطُّفُ بهما، والفرحُ بأوامرهما، والحذر من التأفف والتضجر منهما.

ومن ذلك – أيضًا – التودّدُ لهما، والتحبُّب إليهما، والجلوس أمامهما بأدب واحترام، وتجنُّبُ المنَّة في الخدمة أو العطية.

ومن صور البر مساعدةُ الوالدين في الأعمال، والبعدُ عن إزعاجهما وقتَ راحتهما، أو تكديرِ صفوهما بالجلبة، ورفعِ الصوت، أو بالأخبارِ المحزنة.

ومن ذلك تجنُّبُ الشجارِ، وإثارةِ الجدل أمامهما، وذلك بالحرص على حل جميع المشكلات مع الإخوة أو الزوجةِ أو أهل البيت عمومًا، بعيدًا عن أعين الوالدين إلا إذا اقتضت الحكمةُ والمصلحةُ إشراكَهما في الأمر.

ومن صور البر تلبيةُ نداءِ الوالدين بسرعة، والاستئذان عليهما حال الدخول عليهما وإصلاحُ ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، والحرصُ على التوفيق بينهما وبين الزوجة، وتعويد الأولاد على برهما.

ومن صور البر:

1- تذكيرُ الوالدين بالله، ونصحُهما بالتي هي أحسن.

2- من برهما الاستئذانُ منهما، والاستنارةُ برأيهما، والمحافظةُ على سمعتهما، والبعدُ عن لومهما وتقريعهما.

3- ومن ذلك فهمُ طبيعة الوالدين، ومعاملتهما بمقتضى ذلك.

4- ومن البر بهما كثرةُ الدعاءِ والاستغفار لهما، وصلةُ الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإنفاذ عهدهما، والتصدُّق عنهما.

ومما يعين على بر الوالدين أن يستعينَ الإنسانُ بالله، وأن يستحضر فضائلَ البر وعواقبَ العقوق، وأن يستحضر فضل الوالدين، وأن يضع نفسه موضعهما، وأن يقرأ سير البارين بوالديهم.

أيها الصائمون: ها هو بر الوالدين، وهذه هي الآداب التي يجدر بنا مراعاتها معهما، وتلك أسباب تعين على البر، فما أحرانا بمراعاة تلك الأمور، وما أجدرنا، بالأخذ بها.

أيها الصائمون: صلةُ الأرحامِ ضدُّ القطيعة، وهي كنايةٌ عن الإحسان للأقربين من ذوي النسب، والأصهارِ.

وتكون صلة البر:

1- بزيارتهم، وتَفَقُّدِ أحوالهم، والسؤالِ عنهم، والإهداءِ إليهم، والتصدُّق على فقيرهم، والتلطفِ مع وجيههم وغنيهم، وتوقيرِ كبيرهم، ورحمةِ صغيرهم.

2- وتكون باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم.

3- وتكون الصلة بالدعاء للأرحام، وسلامة الصدر لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح ذات البين إذا فسدت.

ومن الناس من لا يعرف قرابَته بصِلة لا بالمال، ولا بالجاه، ولا بالخلق، تمضي الشهور، وربما الأعوام وهو ما قام بزيارتهم، ولا تودد إليهم بصلة أو هدية، ولا دفع عنهم حاجة أو ضرورة أو أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ في القول لهم.

ومن الناس من لا يشارك أقاربَه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدَّق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأباعدَ في الصِّلات والصدقات.

ومِنَ الناس مَنْ يصل أقارِبَهُ إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه، وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وإنما هو مكافئٌ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب وغيره، والواصلُ حقيقة هو الذي يتقي الله في أقاربه، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه.

الأسبابِ الحاملةِ على القطيعةِ:

1- الشحُّ والبخلُ، فمن الناس من إذا رزقه الله مالًا أو جاهًا بَعُد من أقاربه، حتى لا يرهقوه بطلباتهم المتنوعة.

2- من أعظم أسباب القطيعة: تأخيرُ قِسْمَةِ الميراث؛ فقد يكون بين الأقارب ميراثٌ لم يقسم، إما تكاسلًا منهم، أو قلةَ وفاقٍ فيما بينهم، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة، وكثرت المشكلات، وزاد سوءُ الظن، وحلَّت القطيعة.

3- قد يكون التقاربُ في المساكن بين الأقارب مسببًا للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين.

4- ومن الأسبابِ الحاملةِ على القطيعة: قلةُ التحمُّل، وقلةُ الصبرِ على الأقارب، ونسيانُهم في الولائم والمناسبات، فقد يُفَسَّر هذا النسيانُ بأنه تجاهلٌ واحتقار، فيقود ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

أمور تعين على الصلة:

1- التفكرُ في الآثار المترتبة على الصلة؛ فإن معرفَة ثمراتِ الأشياء، واستحضارَ حُسْنِ عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتَمثُّلها، والسعي إليها.

2- النظرُ في عواقب القطيعة، وتأمُّلُ ما تجلبه من همٍّ، وغمٍّ، وحسرةٍ، وندامة، ونحوِ ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها، والبعد عنها.

3- الاستعانةُ بالله، وسؤالُه التوفيقَ، والإعانةَ على صلة الأرحام. ومما يحسن سلوكه مع الأقارب: مقابلةُ إساءتهم بالإحسان، فهذا مما يبقي على الود، ويحفظ ما بين الأقارب من العهد، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة الأقارب؛ وقد «أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصِلُهم ويقطعونني، وأُحْسِنُ إليهم ويسيئون إليّ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عليّ. قال: (لئن كنت كما قلت؛ فكأنما تسفهم الملّ) رواه مسلم. وقيل معناه: إنك بالإحسان إليهم تخزيهم، وتحقِّرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ. وهذا الحديث عزاءٌ لكثير من الناس ممن ابتلوا بأقارب شرسين، يقابلون الإحسانَ بالإساءة، وفيه تشجيعٌ للمحسنين على أن يستمروا على طريقتهم المثلى؛ فإن الله معهم، وهو مؤيدهم، وناصرهم، ومثيبهم.

ومما يحسن فعله مع الأقارب: أن يقبل الإنسانُ أعذارَهم إذا أخطأوا واعتذروا. ومن جميل ما يذكر في ذلك ما جرى بين يوسف عليه السلام

وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا قَبِلَ عُذْرَهُم، وصَفَحَ عنهم الصفحَ الجميلَ، فلم يقرِّعْهم، ولم يوبِّخْهم، بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم.

4- بل يحسن بالإنسان أن يصفح عن أقاربه، وينسى معايبهم ولو لم يعتذروا، فهذا دليل سمو النفس، وعلو الهمة.

5- ويراعى في صلة الأرحام أن تكون الصلةُ قربةً لله، خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون تعاونًا على البر والتقوى، لا يقصد بها حمية الجاهلية.

اللهم اجعلنا من الواصلين، وأعاذنا من القطيعة يا رب العالمين.

الحلقة الخامسة والعشرون: شهر رمضان يبعد عنا اليأس والقنوط

معنى اليأس القنوط: أكثر العلماء على أنهما بمعنى واحد. ويرى بعض العلماء أن بينهما اختلافًا، فالقنوط: أتم اليأس وأشده . وقيل: إن اليأس من منعات القلب، والقنوط ظهور آثاره على ظاهر البدن. واليأْس: هو انقطاع الطمع من الشيء. والقنوط: هو الإياس من الرَّحمة، أو من الخير.

آثار اليأس والقنوط:

1- اليأْس والقنوط من صفات الكافر والضال: قال الله تعالى: **(قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ)** [الحجر: 56]. وقال: **(إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)** يوسف: 87. قال السعدي: (يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأنَّ الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط). قال ابن عطية: (اليأْس من رحمة الله وتفريجه، من صفة الكافرين). وقد يكون من كبائر الذنوب: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الكبائر أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأْس من روح الله، والأمن من مكر الله).

3- اليأْس والقنوط فيه تكذيب لله ولرسوله: قال ابن عطية: (اليأْس من رحمة الله، وتفريجه من صفة الكافرين. إذ فيه إمَّا التكذيب بالربوبية، وإمَّا الجهل بصفات الله تعالى). قال القرطبي: (اليأْس من رحمة الله فيه تكذيب القرآن، إذ يقول الحق: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)** [الأعراف: 156] وهو يقول: لا يغفر له، فقد حجَّر واسعًا.

4- اليأْس فيه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى: فـ(الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله، التي سبقت غضبه، وجهل بها).

6- الفتور والكسل عن فعل الطاعات والغفلة عن ذكر الله: قال ابن حجر الهيتمي: القانط آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها. وقال فخر الدين الرازي: **(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا)** أي: إذا مسه فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوسًا شديد اليأْس من رحمة الله... إن فاز بالنعمة والدولة اغتر بها فنسي ذكر الله، وإن بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى، فهذا المسكين محروم أبدًا عن ذكر الله).

7- الاستمرار في الذنوب والمعاصي: قال أبو قلابة: (الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة. فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي.

8- سبب في الحرمان من رحمة الله ومغفرته: فإن اعتقد أو ظن الإنسان أن الله لا يقبل أعماله الصالحة وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأْس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِّل إلى ما ظنَّ، كما في الحديث: (أنا عند ظن عبدي بي، فيظن بي عبدي ما شاء).

- سبب لفساد القلب وذهاب سكينته والشعور الدائم بالحرمان والحزن والهم.

- واليأْس من روح الله والقنوط من رحمته؛ يؤدي إلى ترك العمل، إذ لا فائدة منه بزعمه، وهذه طامة من الطوام، وكبيرة من كبائر الذنوب، تُخرج القلب عن سكينته وأنسه، إلى انزعاجه وقلقه وهمه.

صور اليأْس والقنوط كثيرة، ومنها:

1- اليأْس والقنوط من مغفرة الله للذنوب.

2- اليأْس والقنوط من زوال الشدائد وتفريج الكروب.

3- اليأْس من التغيير للأفضل: ويتمثل في يأس الإنسان من تحصيل ما يرجوه في أمر من أمور الدنيا كجاه، أو مال، أو زوجة، أو أولاد وغيرهم.

4- اليأْس من نصر الإسلام، وارتفاع الذُّل والمهانة عن المسلمين.

5- اليأْس والقنوط من توبة العصاة، والتخذيل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كما قال تعالى حكاية عن بعض الناس: (وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)الأعراف: 164.

أسباب اليأْس والقنوط:

1- الجهل بالله سبحانه وتعالى: قال ابن عادل: (القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور: أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادرًا عليه. وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالمًا باحتياج ذلك العبد إليه. وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزهًا عن البخل، والحاجة. والجهل بكلِّ هذه الأمور سبب للضلال).

2- الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالي: قال ابن القيم: (لا يدع الخوف يفضي به إلى حدٍّ يوقعه في القنوط، واليأْس من رحمة الله. فإنَّ هذا الخوف

مذموم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: حدُّ الخوف ما حجزك عن معاصي الله. فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه، وهذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها).

3- مصاحبة اليائسين والقانطين والمقنطين: فإنَّ مصاحبة هؤلاء تورث اليأْس والقنوط من رحمة الله إما مشابهةً، أو عقوبةً للاختلاط بهم.

4- التعلُّق بالأسباب وعدم التعلق بالله تعالى وهو مسبب الأسباب.

5- التشدد في الدين وترك الأخذ بالرخص المشروعة.

6- قلة الصبر واستعجال النتائج: إنَّ ضعف النفوس عن تحمل البلاء، والصبر عليه، واستعجال حصول الخير يؤدي إلى الإصابة باليأْس والقنوط، لاسيما مع طول الزمن واشتداد البلاء على الإنسان، فعن أبي هريرة، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي. فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء).

7- تعلق القلب بالدنيا والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها، بكل ما فيها من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية، قال تعالى: **(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ)** [الروم: 36].

8- دُنوُّ الهمة، والاستسلام للواقع، وضعف الرغبة في التغيير.

الوسائل المعينة على التخلص من اليأْس والقنوط:

1- الإيمان بأسماء الله وصفاته:

2- حسن الظن بالله ورجاء رحمته:

3- تعلق القلب بالله والثقة به:

4- أن يكون العبد بين الخوف والرجاء:

5- الإيمان بالقضاء والقدر:

6- الصبر عند حدوث البلاء:

7- الدعاء مع الإيقان بالإجابة:

8- الأخذ بالأسباب: يظهر لنا جليًّا في قصة يوسف عليه السلام أهمية الأخذ بالأسباب، وترك الاستسلام لليأس، فقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: 87].

9- الزهد في الدنيا: فمن أسباب اليأس والقنوط الأساسية، تعلق القلب بالدنيا والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها، من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية.

الحلقة السادسة والعشرون: ليلةُ القَدرِ

إنَّ الليلة ليلة شريفة عظيمة البركة ادخر الله فيها لهذه الأمة خيراً كثيراً. العباد الصادقون يتلهفون لإدراكها، فقد أنزل الله في فضلها سورة كاملة، وجزءً من سورة أخرى، ويكفي الله عز وجل نصَّ على أنها الليلة المباركة، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)، وقال سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

ومن أدلة فضلها وشرفها: قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)، وهذا يدلُّ على فضل العمل فيها، وكثرة ما يعطي الله تعالى من يقومها من الأجر العظيم والثواب الكريم، والْقَدرُ بمعنَى الشرفِ والتعظيم أوْ بمعنى التقديرِ والقضاءِ؛ لأنَّ ليلةَ القدر شريفةٌ عظيمةٌ يقدِّر الله فيها ما يكون في السنةِ ويقضيهِ من أمورِهِ الحكيمةِ {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ

أَلْفِ شَهْرٍ} يعني في الفضل والشرفِ وكثرةِ الثواب والأجر، ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، **وقال عليه الصلاة والسلام:** (إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمها فقد حُرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم).

– إن الملائكة والروح يتنزلون فيها إلى الأرض، فجبريل عليه السلام، سيّد الملائكة، وأمين الوحي، ينزل في مواكب الملائكة فوجا إثر فوج، حتى تضيق الأرض عنهم، وهذا يدل على شرف هذه الليلة، لأن العباد المتضرعين المصلين في جماعة، كلما كانت جموعهم أكثر كان نزول الرحمة أوفر وأكبر. وأن هذه الليلة سلامٌ، فكل ما فيها خير كله، لا شر فيها، سالمة لا يقدر الشيطان أن يسيء فيها.

– يقَدِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى فيها كُلَّ ما هو كائنٌ في السَّنَةِ: قال تعالى: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [الدخان: 4–5]. في تلك الليلةِ يُقَدِّرُ اللهُ سبحانه مقاديرَ الخلائِقِ على مدارِ العامِ، ويُكتَبُ فيها الأحياءُ والأمواتُ، والنَّاجون والهالكونَ، والسُّعداءُ والأشقياءُ، والعزيزُ والذَّليلُ، وكلُّ ما أراده اللهُ سبحانه وتعالى في السَّنةِ المُقبلةِ، يُكتَبُ في ليلةِ القَدرِ هذه.

ما يُشرَعُ في ليلةِ القَدرِ:

– **القيامُ:** يُشرَعُ في هذه الليلةِ الشَّريفةِ قيامُ لَيلِها بالصَّلاةِ. عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (ومن قامَ ليلةَ القَدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقَدَّمَ مِن ذَنبِه)، وقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم العشر الأواخر كلها لإصابة ليلة القدر؛ لأنَّ من اعتكف العشر الأواخر، وقام في كل ليلة منها وهو يدعو فإنه بالتأكيد سيصيبها، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى تتورم قدماه كما قال الله: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) الذاريات:17، وكان السلف يسيرون على هذا المنوال، يقومون ليلهم، ويخفون دعائهم، (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) مريم:3، ومن أطال قيام الليل هوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة، لأن يوم الحساب فيه وقفة طويلة جداً؛ فهي في الطول خمسين ألف سنة، والناس واقفون على أقدامهم، ليس فيهم قاعد، ولا

مضطجع، ولا متكئ، وإنما هم قيام كما قال الله: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) المطففين:6، ويشتد الحر على الناس لأمور ثلاثة: الزحام، فليس للإنسان إلا موضع قدميه، ودنو الشمس قدر ميل من رؤوس العباد، وتقريب جهنم (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) الفجر:23، تجرها الملائكة، فيأخذ الناس من العرق والكرب ما الله به عليم، ويذهبون يطوفون على الأنبياء ليطلبوا منهم التدخل عند الله لفصل القضاء، فينالها الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود.

– **الاعتكاف:** يُشرَعُ في ليلةِ القَدرِ الاعتكافُ؛ فقد كان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يعتَكِفُ في العَشْرِ الأواخِرِ؛ التماسًا لِلَيلةِ القَدْرِ. عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (من كان اعتكَفَ معي، فلْيعتكِفِ العَشرَ الأواخِرَ، وقد أُريتُ هذه الليلةَ ثم أُنسِيتُها، وقد رأيتُني أسجُدُ في ماءٍ وطِينٍ مِن صَبيحَتِها فالتَمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ، والتَمِسوها في كُلِّ وِترٍ).

– **كثرة الدعاء:** يستحب الإكثار في ليلة القدر من الدعاء، خاصة الدعاء الذي علمه النبي عليه الصلاة والسلام عائشة رضي الله عنها حين قالت: إن أريت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال لها النبي عليه الصلاة والسلام : قولي: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني).

– **العَمَلُ الصَّالِحُ:** قال الله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر: 3]. قال كثيرٌ مِنَ المُفَسِّرينَ: أي: العَمَلُ فيها خيرٌ مِنَ العَمَلِ في ألفِ شَهرٍ، ليس فيها ليلةُ القَدْرِ؛ ففي تلك الليلةِ يُقسَمُ الخيرُ الكثيرُ الذي لا يُوجَدُ مِثلُه في ألفِ شَهرٍ.

علامات ليلة القدر:

العلامة الأولى: ثبتت في صحيح مسلم من حديث أُبَيّ أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر أن من علامتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها. وهذا ثابت. **العلامة الثانية:** ثبتت من حديث ابن عباس عند ابن خزيمة، ورواه الطيالسي أيضًا في مسنده، وهو حديث صحيح، سنده صحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "ليلة القدر ليلة طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة". **العلامة الثالثة:** ما ثبت

عند الطبراني بسند حسن من حديث واثلة بن الأسقع أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إنها ليلة بلجة يعني منيرة مضيئة لا حارة ولا باردة، لا يرمى فيها بنجم". يعني لا ترى فيها هذه الشهب التي ترسل على الشياطين.

وقتُ ليلةِ القَدرِ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قُبَّة تركية على سُدَّتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده، فنحاها في ناحية القبَّة، ثم أطلع رأسه فكلَّم الناس، فدنوا منه فقال: (إني اعتكفتُ العشرَ الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفتُ العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحبَّ منكم أن يعتكف فليعتكف)، فاعتكف الناس معه، قال: (وإني أُريتها ليلةَ وتر، وإني أسجد صبيحتها في طين وماء)، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء فوكف المسجد، فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء) متفق عليه واللفظ لمسلم. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) متفق عليه واللفظ للبخاري

ما ورَد في الْتِماسها في السَّبع الأَواخِر:

- عن عبداللهِ بن عُمرَ رضِيَ اللهُ عنهُما قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: (الْتمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ - يعْنِي: ليلَةَ القدْرِ - فإنْ ضَعُفَ أحدُكم أوْ عَجَزَ، فلا يُغْلَبَنَّ علَى السَّبْعِ البواقِي) رواه مسلم .. عن ابن عُمرَ رضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ أُناسًا أُرُوا ليلةَ القَدْر في السَّبع الأواخِر، وأنَّ أُناسًا أُرُوا أنَّها في العَشر الأواخِر، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: (الْتَمِسوها في السَّبع الأواخِرِ) رواه البخاريُّ، ومسلم

- عن ابن عُمرَ رضِيَ اللهُ عنهُما عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: (تَحرُّوا ليلَةَ القَدْرِ في السَّبْعِ الأواخِرِ) رواه مسلم.

وفي البخاري من حديث عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه الصلاة والسلام خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ –أي: تخاصم رجلان– مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: "إني خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمُ الْتَمِسُوهَا في السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ). وهذا دليل على شؤم الخصومة في غير حق، خاصة الخصومة في الدين وعظيم ضررها، وأنها سبب في غياب الحق وخفائه على الناس.

وجاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ النبي عليه الصلاة والسلام أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ في الْمَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: (أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ). ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام" أرى رؤياكم قد تواطأت" أي اتفقت، فكأنهم رأوها في المنام، إمَّا جاءهم أحد وأخبرهم أنها في السبع الأواخر، أو رأوا في المنام أن ليلة القدر تكون في السبع الأواخر، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بتحريها في هذه السبع الأواخر، خاصة في ليلة سبع وعشرين؛ فإنها أرجى ما تكون ليلة سبع وعشرين. وهذا مذهب أكثر الصحابة وجمهور العلماء، حتى إن أبي بن كعب رضي الله عنه كان يحلف على ذلك فقال: (والله، إنِّي لأَعلمُها، وأكثرُ عِلمي هي اللَّيلةُ التي أَمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بقِيامِها، هي ليلةُ سَبعٍ وعِشرينَ).. رواه صحيح مسلم. وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنها ليلة سبع وعشرين.

ولسائل أن يتساءل عن الحكمة من إخفاء ليلة القدر؟. قال البغوي: أبهمَ الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة؛ ليجتهدوا في الطاعات حذرًا من قيامها.

هل يمكن رؤية ليلة القدر في المنام ؟ قال ابن تيمية: وقد يكشفها الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة، فيرى أنوارها، أو يرى من يقول له هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه

من المشاهدة ما يتبين به الأمر. وقال النووي: فإنها تُرى وقد حققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان، كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث، وأخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، ونقل الحافظ ابن حجر، أن من رأى ليلة القدر استُحبّ له كتمان ذلك، وألا يخبر بذلك أحدًا، والحكمة في ذلك أنها كرامة، والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلاف.

الحلقة السابعة والعشرون: الصيام شفاء من مرض سوء الظن

سوء الظن اصطلاحًا: قال الماوردي: (سوء الظن: هو عدم الثقة بمن هو لها أهل). وقال ابن القيم: (سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح). وقال ابن كثير: "سوء الظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله".

أقوال السلف والعلماء في سوء الظن:

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم".
- وقال ابن عباس: "إنَّ الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظنَّ به ظنَّ السوء".
- وقال ابن مسعود: "الأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظنِّ السوء<"
- وقال الغزالي: (سوء الظن غيبة بالقلب).
- وقال الخطابي: (الظن منشأ أكثر الكذب).
- وقال إسماعيل بن أمية: (ثلاث لا يعجزن ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد. قال: فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءًا) .
- وقال الحارث المحاسبي: (احم القلب عن سوء الظن بحسن التأويل)

آثار سوء الظن:

1- سبب للوقوع في الشرك والبدعة والضلال: سوء الظن بالله سبب في الوقوع في الشرك، قال ابن القيم: (الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى.. لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين: (أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [الصافات: 86-87]). قال المقريزي: (اعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين: أحدهما:.. الظن بالله ظن السوء) .

2- أنها صفة كل مُبطل ومبتدع : قال تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ) فصلت: 23. قال ابن القيم: (كلٌّ مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل، فهو يظن بربه هذا الظن وأنه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه، فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه. ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد).

3- سبب في استحقاق لعنة الله وغضبه: قال تعالى: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) [الفتح: 6]. قال ابن القيم: (توعَّد الله سبحانه الظانين به ظنَّ السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) الفتح: 6.

4- يورث الإنسان الأخلاق السيئة: سوء الظن يورث الإنسان الأخلاق السيئة كالجبن والبخل والشح والحقد والحسد والتباغض. قال ابن عباس: (الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل). وقال ابن القيم: (الشحُّ فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن، وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان).

5 – من أساء الظن أساء العمل: قال الطبري: "تلا الحسن: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) فصلت: 23، فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل".

6- سبب في وجود الأحقاد والعداوة: فإن الظن السيئ (يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء). قال ابن القيم: (أما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبدًا في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض، يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه ... ويلحقه أذاهم ..خارج منهم مع الغش والدغل والبغض).

7- يؤدي إلى تتبع عورات المسلمين: قال الغزالي: (من ثمرات سوء الظن التجسس، فإنَّ القلب لا يقنع بالظنِّ، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: (وَلا تَجَسَّسُوا) [الحجرات: 12]. فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة، ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر؛ حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه).

8- سبب للمشكلات العائلية: من أسباب المشاكل العائلية سوء الظن من أحدهما وغضبه قبل التذكر والتثبت؛ فيقع النزاع وربما حصل فراق، ثم تبين الأمر خلاف الظن.

9- إضعاف الثقة بين المؤمنين.

10- من مداخل الشيطان الموقعة في كبائر الذنوب: قال الغزالي: (من عظيم حيل الشيطان.. سوء الظن بالمسلمين، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) الحجرات: 12، فمن يحكم بشرٍّ على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة، فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكلٌّ ذلك من المهلكات).

11- سبب في مرض القلب، وعلامة على خبث الباطن: قال الغزالي: (مهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن وأنَّ ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق).

12- يسبب عدم الثقة بالآخرين: قال الزمخشري: (قيل لعالم: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنَّه، ولا يثق به أحد لسوء فعله).

حكم سوء الظن: قال سبحانه في عاقبة من ظن به السوء :قال تعالى في ذم سوء الظن بالله تعالى وعاقبة من فعل ذلك : (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

وقال: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ) فصلت: 22- 23. قال أبو حيان الأندلسي: هذا الظن كفر وجهل بالله، وسوء معتقد يؤدي إلى تكذيب الرسل، والشك في علم الإله.

ثم أوضح سبحانه صورة هذا الهلاك والخسران بقوله تعالى :(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا). وقال الشوكاني في قوله تعالى:**(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)** أي: يعذبهم في الدنيا بما يصل إليهم من الهموم والغموم بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام، وقهر المخالفين له، وبما يصابون به من القهر والقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب جهنم ..**(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)** أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم، حائق

بهم، والمعنى: أن العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم... (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا)

– وقال سبحانه في ذم سوء الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**) الحجرات:12. قال ابن كثير: "قال تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا".

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث". قال الصنعاني: "المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : ("إياكم والظنَّ) سوء الظنِّ به تعالى، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين وقوله" : (فإن الظن أكذب الحديث) سماه حديثًا؛ لأنَّه حديث النفس، وإنما كان الظنُّ أكذب الحديث؛ لأنَّ الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره. وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذبًا بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث، والحديث وارد في حقِّ من لم يظهر منه شتم ولا فحش ولا فجور".

– عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم" أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل، وعدم تتبع العورات؛ فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام.

القسم الأول: سوء الظن الذي يؤاخذ به صاحبه: وضابط هذا النوع: هو كل ظن ليس عليه دليل صحيح معتبر شرعًا، استقر في النفس، وصدقه صاحبه، واستمر عليه، وتكلم به، وسعى في التحقق منه. وهو أنواع ولكل نوع حكم خاص وهو كالتالي:–

1- سوء الظن المحرم: ويشمل سوء الظن بالله تعالى، وسوء الظن بالمؤمنين. فسوء الظن بالله تعالى من أعظم الذنوب: قال ابن القيم: "أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به". وقال الماوردي: "سوء الظن هو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فإن كان بالخالق كان شكًّا يؤول إلى ضلال" .

أما سوء الظن بالأنبياء فهو كفر، قال النووي: (ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع ، وأمَّا سوء الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين فهو من الكبائر).

2- سوء الظن الجائز: ويشمل: سوء الظن بمن اشتهر بين الناس بمخالطة الريب، والمجاهرة بالمعاصي، وسوء الظن بالكافر، قال ابن عثيمين: (يحرم سوء الظن بمسلم، أما الكافر فلا يحرم سوء الظن فيه؛ لأنه أهل لذلك، وأما من عرف بالفسوق والفجور، فلا حرج أن نسيء الظن به؛ لأنه أهل لذلك، ومع هذا لا ينبغي للإنسان أن يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها؛ لأنَّه قد يكون متجسسًا بهذا العمل.

3- سوء الظنِّ المستحب: وهو ما كان بين الإنسان وعدوه، قال أبو حاتم البستي في سوء الظن المستحب "كمن بينه وبينه عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه، مكره، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره؛ لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه".

4- سوء الظن الواجب: وهو ما احتيج لتحقيق مصلحة شرعية، كجرح الشهود ورواة الحديث.

القسم الثاني: سوء الظن بالنفس:

اختلف فيه العلماء، فمنهم من رأى الاستحباب. قال ابن القيم: "أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه؛ لأنَّ حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالًا، فإنَّ المحبَّ يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك. ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه".

وضابط سوء الظن بالنفس (هو اتهام النفس، فلا يتهم ربه، وإنما يتهم الإنسان نفسه بالتقصير، ويعاملها بالاتهام ليدفع عنها الغرور والعجب، دون أن يخرجه ذلك إلى حدِّ سوء الظنِّ بالله، أو اليأس من رحمته؛ لأنَّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فلا ييأس الإنسان من روح الله، ولا يقنط من رحمته، لكن ليجتهد في الطاعات، ومع ذلك يتهم نفسه وعمله، ولا يدري أقبل عمله أم لم يقبل؟ مع ثقته في أن الله سبحانه وتعالى لن يضيع عمل عامل من المؤمنين أبدًا).

ومنهم من رأى الكراهة لما فيه من اتهام طاعتها، وردِّ مناصحتها. وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم).

– ومنهم من قال بالموازنة بين سوء الظن بنفسه وحسن الظن بها. فقالوا: ينبغي على المرء أن يكون في التهمة لنفسه معتدلًا، وفي حسن الظن بها مقتصدًا، فإنه إن تجاوز مقدار الحقَّ في التهمة لنفسه ظلمها؛ فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها؛ فأودعها تهاون الآمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل.

القسم الثالث: سوء الظن الذي لا يؤاخذ به صاحبه: وضابطه: هو الخواطر الطارئة غير المستقرة التي يجاهدها صاحبها، ولا يسعى للتحقق منها. قال النووي: (الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء، لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل". قال العلماء: المراد به الخواطر التي لا تستقر، قالوا: وسواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرًا أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطر من غير تعمد لتحصيله، ثم صرفه في الحال، فليس بكافر، ولا شيء عليه... وسبب العفو ما ذكرناه من تعذر اجتنابه، وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه، فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حرامًا، ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصي، وجب عليك دفعه بالإعراض عنه، وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره.

أسباب الوقوع في سوء الظن:

1- الجهل وسوء القصد والفهم: الجهل وسوء القصد والفهم من الأسباب التي تؤدي إلى سوء الظنِّ بسبب عدم فهم حقيقة ما يرى وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، فانظر إلى ذي الخويصرة الجهول، لماذا أساء الظنَّ بالرسول صلى الله عليه وسلم واتهمه بعدم الإخلاص، فقال: اعدل يا محمد، فما عدلت، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لقد دفعه إلى الظن السيئ والفعل القبيح جهله وسطحية فهمه، وقلة فقهه لمقاصد الشريعة ومصالح الدين الشرعية.

2- اتباع الهوى وتعميم الأحكام على الناس.

3- مصاحبة أهل الفسق والفجور: قال أبو حاتم البستي: "صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشرَّ".

4- التواجد في مواطن التهم والريب: ال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ.

5- الحقد والحسد على المظنون به.

6- الإسراف في الغيرة: قال علي رضي الله عنه: لا تكثر الغيرة على أهلك، فتُرمى بالسوء من أجلك.

الوسائل المعينة على ترك سوء الظن:

1- الاستعاذة بالله والتوقف عن الاسترسال في الظنون: إذا كان سوء الظن الوارد متعلق بالله سبحانه وتعالى فمما ورد في علاج ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته).

2- معرفة أسماء الله وصفاته: قال ابن القيم: (أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظنَّ السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء) .

3- سوء الظن بالنفس واتهامها بالتقصير: قال ابن القيم: (ليظنَّ – العبد – السوء بنفسه التي هي مأوى كلِّ سوء، ومنبع كلِّ شرٍّ، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كلِّ سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كلِّ وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلُّها حسنى).

4 – المداومة على محاسبة النفس والاستغفار: قال ابن القيم: (فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى، وليستغفره كلَّ وقت من ظنه بربه ظن السوء).

5- ترك التحقق من الظنون السيئة: قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** [الحجرات: 12].

6- أن يتأول ما ظاهره السوء وأن يجد له مخرجًا: قال عمر بن الخطاب: (لا يحل لإمرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظنَّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا). وقال ابن عباس رضي الله عنه: "ما بلغني عن أخٍ مكروه قطٌّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة".

7- عدم مصاحبة من ابتلي بإساءة الظن: قال أبو حاتم البستي: (الواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبًا، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشرَّ).

8- البعد عن مواطن التهم والريب: عن صفية بنت حيي رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما إنها صفية بنت حيي، فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا، أو قال: شيئًا). قال ابن بطال: (في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنها صفية) السنة الحسنة لأمته، أن يتمثلوا فعله ذلك في البعد عن التهم ومواقف الريب) . وقال الغزالي: (حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول: مثلي لا يظنُّ به إلا الخير؛ إعجابًا منه بنفسه، فإنَّ أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم... فيجب الاحتراز عن ظنِّ السوء، وعن تهمة الأشرار، فإنَّ الأشرار لا يظنون بالناس كلِّهم إلا الشرَّ).

الحلقة الثامنة والعشرون: الصيام سبب لدخول الجنة

قال صلى الله عليه وسلم: «اطلبوا الجنة جَهْدَكم، واهربوا من النار جَهْدَكم؛ فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها» ويقول: «لا تنسوا العظيمتين. قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال: الجنة والنار». نعود مرة أخرى إلى الآية الكريمة التي فرض الله فيها صيام شهر رمضان على المؤمنين، للتذكير بأنَّ من أهم ما يثمره الصيام في الصائمين تقوى الله عز وجل، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)، ونعيد التذكير بالحديث الذي بشر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، بفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار في شهر رمضان: روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان

رمضان، فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين) البخاري ومسلم. ثم نستفتي القرآن الكريم، في المؤهلات التي تفتح بها أبواب الجنة، وتغلق بها أبواب النار. وسنجد أن التقوى التي يجنيها الصائمون من صيامهم، هي خلاصة المؤهلات لدخول الجنة، والنجاة من النار، في كل الأوقات، ومن باب أولى في هذا الشهر الكريم.

وقد تكرر ذلك كثيرا في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (إن المتقين في جنات وعيون)، وقوله تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا)، وقوله تعالى:(وأزلفت الجنة للمتقين).. وقوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)... وقوله تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون).. وقوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد).. وقوله تعالى: (هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ).

والجنة ذاتها تسأل الله تعالى أن يعجل إليها بسكانها، وتذكر شوقها إليهم، وتشفع فيهم إلى ربهم؛ ففي الحديث المرفوع: (ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طاب ثمري، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلي بأهلي. وتقول النار: اشتد حري، وبعد قعري، وعظم جمري، فعجل إلي بأهلي» . وروى الحسن بن سفيان بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كثروا من مسألة الله الجنة، واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب عبدك هذا استعاذ بك مني فأعذه).

والجنة نوعان في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وروى ابن ماجه في سننه عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا هل من مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها – أي لا عوض لها ولا مثل– هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في درا سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة، في محلة عالية بهية. قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله» .

وفي الحديث الذي يرويه أحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن عليٍّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام).

أبواب الجنة: قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ). وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (في الجنة ثمانية أبواب: باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون). وأخرج مسلم عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ – الوضوء ثم يقول:

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء).

ومن سعة الجنة أن عرض الباب الواحد من أبوابها كما بين مكة والأحساء،

قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر» متفق عليه.

والجنة بعضها أعلى من بعض: في الصحيحين من حديث أبي سعيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وهذه الجنات متباعدات كما دلَّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم :(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة). فهذا تباعد ما بين درجات هذه المائة التي أعدت للمجاهدين، **ودرجات الجنة كثيرة لم يرد حصرها في عدد،** فهذه مائة أعدت للمجاهدين، وقال صلى الله عليه وسلم :(يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها). وهذا يدل على أن درج الجنة لا حصر لها.

وبعض الجنان غرسها الله بيده زيادة في كرامتها وتفضيل أهلها، روى ابن أبي الدنيا بسنده، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله جنة عدن بيده: لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء،

ولبنة من زبرجدة خضراء، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران» ، ثم قال لها: «انطقي قالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

أما أدنى أهل الجنة منزلة: في الصحيحين عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآ، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملآ. فيقول الله: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآ، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملآ. فيقول له: اذهب فادخل الجنة.. فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها. قال: فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» .

شجرة الجنة: روى مسلم من حديث سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب ذو الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها).

تربة الجنة: أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا

لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين).

عيون الجنة: في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ)، وقال: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ) وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه: (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ)، وقال في وصف الجنتين اللتين دونهما :(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضاخَتَانِ)،

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءها صرفاً غير مخلوط، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطاً ممزوجاً بغيره. وهما: **العين الأولى: عين الكافور**: قال تعالى: (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا). فقد أخبر أن الأبرار يشربون شرابهم ممزوجاً من عين الكافور، بينما عباد الله يشربونها خالصاً.

العين الثانية: عين التسنيم: قال تعالى: (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) [المطففين:22-28].

ومن عيون الجنة عين تسمى السلسبيل، قال تعالى: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ

مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً) الإنسان:17-18. ولعل هذه هي العين الأولى نفسها والله اعلم.

وأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضًا، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم؛ ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا. قال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها. فقال: «عبد نوَّر الله قلبه» وفي حديث أبي أيوب: «أنهم يتزاورون على النجائب». النجيب من الخيل أكرمه وأعتقه.

عباد الله: هذا وصف الجنة التي جعلها الله مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. وأهل البشرى بها هم أهل الإيمان والتقوى والعمل الخالص لله الموافق للسنة إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه. فاتقوا الله عباد الله، وأكثروا من سؤال الله الجنة، واعملوا لها أعمالها من واجب واجتناب محرم، واسألوه الفردوس منها، فإنه أعدل الجنة، وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة. واسألوه تعالى العون على أعمال أهل الجنة.

الحلقة التاسعة والعشرون: فضل الأمانة

الأمانة: هي كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه وحفظه... وقيل هي: التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه. وهي: كلُّ ما افترض على العباد فهو

أمانة، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار.

الأمَانَة في نظر الشَّارع واسعة الدِّلالة، وهي ترمز إلى معان شتَّى، مناطها جميعًا شعور المرء بتبعته في كلِّ أمر يُوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنَّه مسؤول عنه أمام ربِّه... والعوام يقصرون الأمَانَة في أضيق معانيها وآخرها ترتيبًا، وهو حفظ الودائع، مع أنَّ حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل. وإنَّها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها، حتى إنَّه عندما يكون أحدهم على أُهْبة السَّفر يقول له أخوه : (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك). وعن أنس قال: (قلَّما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلَّا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له). وقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : أنَّ أوَّل ما يُفْقَد مِن الدِّين الأمَانَة، وآخر ما يُفْقد منه الصَّلاة).

قال تعالى : **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)** النِّساء: 58.

قال تعالى عزَّ وجلَّ :**(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)** الأحزاب: 72-73. ففي هذه الآية: عظَّم الله تعالى شأن الأمَانَة، التي ائتمن الله عليها المكلَّفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السِّرِّ والخفية، كحال العلانية، وأنَّه تعالى

عرضها على المخلوقات العظيمة، السَّماوات والأرض والجبال، عَرْض تخيير لا تحتيم، وأنَّكِ إن قمتِ بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلكِ الثَّواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤدِّيها فعليك العقاب .**فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربِّهن، ولا زهدًا في ثوابه، وعَرَضَها الله على الإنسان، على ذلك الشَّرط المذكور، فقَبِلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل.

– وقال تعالى في ذكر صفات المفلحين : **(وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)** المؤمنون: 8، أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربِّه، كالتَّكاليف التي لا يطَّلع عليها إلَّا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار.

– الأمانةُ خلُقٌ مِن أخلاق الأنبياءِ والمرسَلين، وفضيلةٌ من فضائل المؤمنين، عظَّم الله أمرَها ورفع شأنها وأعلى قدرَها، يقول جلّ وعلا :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾]الأحزاب:72]، ويقول سبحانه في وَصفِ عبادِه المفلحين المؤمِنين :(وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ).

– وقال الملكُ ليوسف عليه السلام :﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ يوسف– 54، –– وقالت إحدى المرأتين عن موسى عليه السلام :﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ ﴾ القصص– 26، وعُرِف النبي صلى الله عليه وسلم بالأمانة ولُقّبَ بالأمين قبل البعثة، وقصة وضع الحجر الأسود مشهورة حيث فرح القوم بمقدمه صلى الله عليه وسلم وقالوا: هذا الأمين.

- وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)، يعني إذا ائتمنه النَّاس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء مِن هذه الأشياء فإنَّه يخون والعياذ بالله، فهذه مِن علامات النِّفاق.

فوائد الأمَانَة:

1- الأمَانَة مِن كمال الإيمان وحسن الإسلام.

2- يقوم عليها أمر السَّموات والأرض.

3- هي محور الدِّين وامتحان ربِّ العالمين.

4- بالأمَانَة يُحْفَظ الدِّين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشَّهادة والقضاء والكتابة...

5- الأمين يحبُّه الله ويحبُّه النَّاس.

6- مِن أعظم الصِّفات الخُلقيَّة التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله: **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** [المؤمنون: 8]، و[المعارج: 32]

7- مجتمع تفشو فيه الأمَانَة مجتمع خيرٍ وبركة.

من صور الأمَانَة:

هناك مجالات وصور تدخل فيها الأمَانَة وهي كثيرة فالأمانة باب واسعٌ جدًّا، وأصلها أمران: أمانة في حقوق الله: وهى أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ. وأمانة في حقوق البشر. وأبين ما يدخل تحتهما من صور الأمانة:-

- **الأمَانَة فيما افترضه الله على عباده:** فمِن الأمَانَة: فما ائتمنهم الله على عباده مِن العبادات التي كلَّفهم بها، فإنَّها أمانة ائتمن الله عليها العباد.

– **الأمَانَة في الأموال:** ومِن الأمَانَة: العفَّة عمَّا ليس للإنسان به حقٌّ مِن المال، وتأدية ما عليه مِن حقٍّ لذويه، وتأدية ما تحت يده منه لأصحاب الحقِّ فيه، وتدخل في البيوع والديون والمواريث والودائع والرهون والوصايا. ومنها الأمَانَة المالية وهي: الودائع التي تُعْطَى للإنسان ليحفظها لأهلها. وكذلك الأموال الأخرى التي تكون بيد الإنسان لمصلحته، أو مصلحته ومصلحة مالكها.

– الأمَانَة في الأعراض: فمِن الأمَانَة في الأعراض: العفَّة عمَّا ليس للإنسان فيه حقٌّ منها، وكفُّ النَّفس واللِّسان عن نيل شيء منها بسوء، كالقذف والغيبة.

– الأمَانَة في المعارف والعلوم: فمِن الأمَانَة في المعارف والعلوم تأديتها دون تحريف أو تغيير، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وعدم انتحال الإنسان ما لغيره منها.

– **الأمَانَة في الولاية:** فمِن الأمَانَة في الولاية: تأدية الحقوق إلى أهلها، وإسناد الأعمال إلى مستحقِّيها الأكفياء لها، وحفظ أموال النَّاس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم، وصيانتها ممَّا يؤذيها أو يضرُّ بها، وحفظ الدِّين الذي ارتضاه الله لعباده مِن أن يناله أحدٌ بسوء، وحفظ أسرار الدَّولة وكلِّ ما ينبغي كتمانه مِن أن يسرَّب إلى الأعداء، إلى غير ذلك مِن أمور. وهي أعظمها مسؤوليَّة، الولاية العامَّة والولايات الخاصَّة فالرَّئيس الأعلى في الدَّولة أمينٌ على الأمَّة كلِّها، على مصالحها الدِّينية، ومصالحها الدُّنيويَّة، على أموالها، فلا يبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك. وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير مثلًا في وزارته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله.

– **الأمَانَة في الشَّهادة:** وتكون الأمَانَة في الشَّهادة بتحمُّلها بحسب ما هي عليه في الواقع، وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصان.

– الأمَانَة في القضاء: وتكون الأمَانَة في القضاء بإصدار الأحكام وفْقَ أحكام العدل التي استُؤْمِن القاضي عليها، وفُوِّض الأمر فيها إليه.

– **الأمَانَة في الأسرار التي يُستأمن الإنسان على حفظها وعدم إفشائها:** وتكون الأمَانَة فيها بكتمانها. ومِن الأمانات ما يكون بين الرَّجل وصاحبه مِن الأمور الخاصَّة التي لا يجب أن يطَّلع عليها أحدٌ، فإنَّه لا يجوز لصاحبه أن يخبر بها، فلو استأمنك على حديث حدَّثك به، وقال لك: هذا أمانة، فإنَّه لا يحلُّ لك أن تخبر به أحدًا مِن النَّاس، ولو كان أقرب النَّاس إليك، سواءً أوصاك بأن لا تخبر به أحدًا، ومِن ذلك أيضًا: ما يكون بين الرَّجل وبين زوجته مِن الأشياء الخاصَّة، فإنَّ شرَّ النَّاس منزلةً عند الله تعالى يوم القيامة كما أخبر النبي عليه السلام: الرَّجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثمَّ يروح ينشر سرَّها، ويتحدَّث بما جرى بينهما.

– **الأمَانَة في السَّمع والبصر وسائر الحواس:** وتكون الأمَانَة فيها بكفِّها عن العدوان على أصحاب الحقوق، وبحفظها عن معصية الله فيها، وبتوجيهها للقيام بما يجب فيها مِن أعمال، ومِن معاني الأمَانَة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك، وإلى المواهب التي خصَّك بها، فتدرك أنَّها ودائع الله الغالية عندك، فيجب أن تسخرها في قرباته، وأن تستخدمها في مرضاته. قال الله عزَّ وجلَّ: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** [الأنفال: 27-28]).

- **الأمَانَة في النُّصح والمشورة:** ومِن صور الأمَانَة أن تنصح مَن استشارك، وأن تَصْدُق مَن وَثَقَ برأيك، فإذا عرض عليك أحدٌ مِن النَّاس موضوعًا معيَّنًا، وطلب منك الرَّأي والمشورة والنَّصيحة، فاعلم أنَّ إبداء رأيك له أمانة، فإذا أشرت عليه بغير الرَّأي الصَّحيح، فذلك خيانة. وقد قال الرَّسول صلى الله عليه وسلم: (المستشار مؤتمن).

الحلقة الثلاثون: وداعا شهر رمضان المبارك

شهر رمضان الكريم الذي أظلنا بظله الوافر المبارك، قد آذن بالرحيل وأعلن الفراق، فسلوا الله تعالى أن يجعله فراقا إلى تلاقي، وأن يعيده علينا وعليكم باليمن والبركة، وأن يجعلنا من عتقاء رمضان، ومن المقبولين الفائزين عند توزيع الجوائز يوم الدين. ثم اعلموا أيها الصائمون أن من علامات القبول في هذا الشهر الكريم: أن تجد نفسك أيها المسلم بعد رمضان، وهمتك متواصلة بالطاعة، ورغبتك مستمرة في العبادة. ومن علامات الخذلان والعياذ بالله: أن تفتر النفس بعد رمضان، تفتر النفس عن الطاعة بعد رمضان، وتنصرف عن العبادة، وتعود إلى ما كانت تقترفه من أنواع المعاصي.

العمر ليس رمضان، والزمان أوسع من رمضان، والحساب مستمر في رمضان وغير رمضان، والثواب والعقاب على رمضان وشوال وشعبان، والسؤال آت عن عمرك كله، فيم أتممته؟ وكيف قضيته؟ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :لا تزول قدما عبد ."وفي رواية" :لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه."

نعم إن عجلة الأيام تدور بسرعة مذهلة، وتسير بخطى حثيثة، لا تكل ولا تمل، ولا تتوقف لحظة واحدة، إنها دليل على سرعة فنان العمر وذهابه، فالأيام والليالي تتوالى، والشهور والأعوام تتعاقب وتتوارى، وتمضي سريعة سريعة. إنها شاهد على الإنسان فيما يقدمه فيها من الأعمال، والعاقل من استغل أوقاته في الطاعة، في التلاوة، في صلة الرحم، في الصدقة، في إعانة الملهوف، في نصرة المظلوم، في الكلمة الطيبة، لأن مغادرته لهذه الحياة أمر حتمي لا شك فيه، وستحين تلك اللحظة عاجلا أم آجلا.

ها هي الأمة الإسلامية، ودّعت قبل أيام، ضيفا كريما نزل بساحتها، وموسما عظيما حل وافدا عليها، شهر عظيم جاء بخيراته وبركاته، يزيد المؤمن فيه حسناته، ويعمل جاهدا على رفعة درجاته.

ما أحمل أيام شهر الصيام ولياليها، حين ترى الناس مقبلين على فعل الخير، والمساجد مزدحمة بالمصلين، والتراحم تتضاعف صوره في مجتمع الباذلين المنفقين، والتعاطف في أرقى درجاته بين عباد الله الصائمين.

لقد عشنا فيه أوقاتا جميلة، حافلة بمسارعة الناس إلى الخيرات، ومضاعفة الأعمال الصالحات، والتسابق إلى المساجد لأداء الصلوات، والتزاحم في عمل النوافل وبذل الصدقات، فالنفوس قد أُترعت بروحانية، الشهر، والقلوب مملوءة بالمحبة والعطف.

جاء رمضان، ومن الناس من عرف عظمة هذا الموسم، وقدر أوقات الشهر الكريم، فاغتنمها وزاد من عمله الصالح، وتضرع فيه بين يدي مولاه، وسأله المغفرة والعفو، ومحو الذنوب والسيئات، والعتق من النار فقدم فيه خيرا،

فليحمد الله على ذلك، وليسأله الثبات على الطاعة، والمزيد من التوفيق للأعمال الصالحة.

ومن الناس من دخل عليه الشهر، ولم يأبه بدخوله، ولم يقدر قيمة لحظاته، ونفاسة أوقاته، فلم يغير شيئا من نمط حياته، ولم يعدل طريقته في قضاء أوقاته، فأهدر هذا الموسم، وفرط في اغتنامه، فرحل شهر الصيام وهو غارق في غفلاته، فيحتاج هذا إلى محاسبة نفسه والتوبة إلى ربه، وفتح صفحة جديدة، وحياة يستغلها بالطاعة، ويوظف أوقاته في طلب مغفرة ربه ومرضاته. ها هو شهر رمضان الذي كنا قد استقبلناه قبل أيام، وفرحنا بمقدمه، يوشك أن يودعنا، شاهدا لنا أو علينا، فمن قدَّم فيه صالحا، ووفَّق لعمل الخير فليحمد الله تعالى وليشكره على ذلك، وليسأله المزيد والثبات، والتوفيق للأعمال الصالحات، والختام بالخاتمة الحسنة، والموت، على ما يرضي الله تعالى.

ومن فرط في أيامه ولياليه، وسوَّف وأجّل، ووسوس له الشيطان، وملأ قلبه بالغفلة واللهو، فليعد إلى خالقه، وليتب إلى، مولاه وسيده، وليستغفر الله تعالى، فإن الله تعالى غفور رحيم، يفرح بتوبة عبده، ويقبلها إذا كانت بنية صادقة، وعزم على الاستمرار على الطاعة، وندم على التفريط والإضاعة، وليغتنم ما بقي من أيام هذا الشهر، عسى أن يكون فيه ن العتقاء من النار، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ويغفر لهم في آخر ليلة، قالوا: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل إنما يُوفى أجره إذا قضى عمله". رواه أحمد.

إخواني: إن شهرَ رمضانَ قَرُبَ رحيلُه وأزِفَ تحويلُه، وإنه شاهدٌ لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فمن أودعه عملاً صالحاً.. إنه وإن انْقَضَى شهرُ

رمضانَ فإن عمل المؤمنِ لا ينقضِي قبْلَ الموت. قال الله عزَّ وجلَّ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99]، وقال تعالى: {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: «إذا مات العبدُ انقطعَ عملُه»، فلم يَجْعلْ لانقطاع العملِ غايةً إلاّ الموتَ، فلئِن انقضى صيامُ شهرِ رمضانَ فإن المؤمنَ لن ينقطعَ من عبادةِ الصيام بذلك، فالصيام لا يزالُ مشروعاً، ولله الحمد في العام كلِّه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قالت: قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ. وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ) "رَوَاهُ مُسْلِمٌ". وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضَيِ اللهُ عَنْهَا إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْ.

أيها المسلم: يا من بنيت حياتك على الاستقامة في هذا الشهر المبارك دم على ذلك في بقية حياتك ولا تهدم ما بنيت بعودك إلى المعاصي، يا من أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود إليها بفعل المعاصي والأوزار، فتكون ممن قال الله فيهم :(كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا). روي عن علي رضي الله عنه: أنه كان ينادي في آخر ليلةٍ من رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبولُ فنهنيه، ومن هذا المحرومُ فنعزِّيه؟ أيُّها المقبولُ: هنيئًا لك، أيُّهَا المردودُ: جبر اللهُ مصيبتك.

يا من اعتاد حضور المساجد وعمارة بيوت الله بالطاعة، وأداء صلاة الجمعة والجماعة واصل هذه الخطوة المباركة، ولا تقلل صلتك بالمساجد فتشارك المنافقين الذين قال الله عنهم: (يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى).. ولا تهجر

المساجد وتنقطع نهائيًا فيختم الله على قلبك قال صلى الله عليه وسلم: "لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين".. إلى من تعود القرآن في هذا الشهر: داوم على تلاوته ولا تقطع صلتك به فإنه حبل الله المتين، وهو روح من الله، وهو شفيعك عند ربك وحجتك يوم القيامة، فلا تعرض عنه بعد رمضان، فإنه لا غنى عنه بحال من الأحوال... يا من كان يتصدق في هذا الشهر خصص من مالك كل يوم ولو شيئًا يسيرا من المال تتصدق به على الفقراء، وعلى الأيتام، فإن الله سبحانه وتعالى يرضى من عباده الصدقة.

إنَّ من عباد الله الفطن الذكي، الذي عرف أن الفرصة باغتنامها، وها هي أمامه فرصة عظيمة، فشمر عن ساعد الجد، ووطف جوارحه في طاعة الله، بادر بقلبه وقالبه في أطراف النهار، وفي أواخر الليالي، وفي أوقات الأسحار، وفي الهواجر، يذكر ربه، يتلو آياته، يردد التسبيح والتحميد، هو بين يدي خالقه، يركع ويسجد، يقوم ويطيل القيام، يلهج بالدعاء، وطلب المغفرة والرحمة، لأنه أيقن أن مثل هذا الموسم الثمين، قد لا يعود عليه مرة أخرى، فلا بد أن يغتنم أوقاته فيما يفيده وينفعه ويبقى له في آخرته:

إن لله عبادا فُطنا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا المحنا

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي سكنا

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفنا

إن أعمال المؤمن الصالحة ليست معلقة بانقضاء رمضان، بل إن رمضان يزيد من حيوية النفس المؤمنة، ويبعث فيها القوة والنشاط، فإذا انتهى الشهر،

كان أنشط في العبادة، فيستمر على الطاعة ما دام حيا، ولذلك ورد أن الصائم بعد رمضان كالكارّ.

ومن الناس من ركبه الشيطان، وأضله الهوى وألف العصيان، فدخول رمضان لم يغير شيئا في مجرى حياته، ولم يعدل مسار برنامجه اليومي إلا بالسهر واللعب، والغفلة واللهو، يمتنع عن الطعام والشراب، ويصوم نهاره ولكنه بعيد عن مجالسة الصالحين، بعيد عن بيوت الله، وإن جاء إلى الصلاة أتاها كسولا ويتحسر، ويرسل عبارات الندم على أن ضيع أوقاته سدى.

من أحسن في هذا الشهر وواظب على الطاعة، فليشكر الله تعالى الذي وفقه لصالح الأعمال وإقامة العبادة، وليسأله القبول، والثبات على العمل الخيِّر، وليطلب المزيد المزيد من التوفيق. ومن أساء وقصّر في رمضان فليغتنم أوقات عمره، وأيام حياته، وليتب توبة نصوحا إلى خالقه، وليندم على تفريطه، وليسأل الله التوفيق لصالح الأعمال، فإن ربنا غفور رحيم، يفرح بتوبة عبده، ويقبل توبته إذا علم منه حسن النبيه، وصدق اللهجة، وسلامة القصد.

وليختم شهره بالاستغفار، فإنه ختام الأعمال الصالحة، عسى الله أن يقيله ويقبل منه: {أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} سورة المائدة :74، سبحان من يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً} سورة النساء، راجع حساباتك مع الله، ثم تأمل، أليس من الخزي والخسارة، أن يعفو ربك عن الملايين من إخوانك المسلمين، وتبقى أنت مثقلا بذنوبك وأوزارك التي أثقلت كاهلك. بمعاصيك ومخالفاتك، وأنت تعلم أن ربك لا يظلم مثقال ذرة؟

سلام من الرحمن كلَّ أوان ... على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه ... أمان من الرحمن كلُّ أمان
لئن ذهبت أيامُك الغرُّ بغتة ... فما الحزن من قلبي عليك بفان